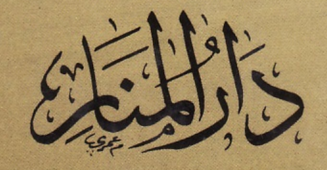
التَّوضِيحَاتُ الجَلِيَّةُ
عَلَىٰ مَتْنِ
الخَرِيدَةِ البَهِيَّةِ

للإمام أحمد بن محمد بن أحمد
الشّهير بالدّردير

شرح الدكتور
هشام الكامل حامد موسى
الشافعي الأزهرى



التَّوضِيحَاتُ الجَلِيَّةُ
عَلَىٰ مَتْنِ
الخَرِيدَةِ البَهِيَّةِ

للإمام أحمد بن محمد بن أحمد

الشّهير بالدّردير

شرح الدكتور

هشام الكامل حامد موسى

الشافعي الأزهرى



الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

رقم الايداع
٢٠١٤/١٥٤٦٣

الترقيم الدولي
ردمك ٣-٢١١-٢٩٥-٩٧٧-٩٧٨ ISBN

دار المنار
للطبع والنشر والتوزيع
٩ش حسن العدوى - الحسين
ت / ٢٥٩١٥٠٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأصلي وأسلم على البشير النَّذير والسِّراج المنير سيِّدنا محمَّدٍ النَّبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ...

فإنه من دواعي السرور أن أعادت إدارة المعاهد الأزهرية تدريس كتاب « الخريدة البهية » للإمام أحمد الدردير ـ رحمه الله ـ في علم العقيدة على طلبة المرحلة الثانوية، ويعدُّ ذلك ثمرة جهد القائمين على مشيخة الأزهر الشريف ـ جزاهم الله خيرًا ـ ، إيمانًا منهم بأنَّ الرُّقي العلمي لا يكون إلا بدراسة كتب التراث ، ولا يخفى على كل مطلع في هذا العلم أن متن « الخريدة البهية » سهل العبارة ، كثير المعاني ، جامعٌ وشاملٌ لمسائل العلم ، إلا أنه قد يصعب على بعض الدارسين فهم الكتب التراثية لما اشتملت عليه من مصطلحات وعبارات تحتاج إلى توضيح ، من هنا أردت أن أكتب شرحًا مختصرًا ، سهل العبارة على هذا المتن المبارك دون الخوض في تفاصيل المسائل .

أهدف من ورائه أن يكون مفتاحًا لهذا العلم ، ومقدمَّةً لكل دارس ، وقد سمَّيته « التوضيحات الجليَّة على متن الخريدة البهيَّة » ، وقد أكرمنا الله ـ

ﷻ - بشرحه وتدريسه للطلاب بجامع الظاهر بيبرس أكثر من خمس مرات ، وبمسجد الإمام الدردير ، وببيوت طلبة العلم المغتربين ، وبقراءته بالرواق العباسي بالجامع الأزهر الشريف .

أسأله سبحانه أن ينفع بهذا الشرح كما نفع بأصله ، وأن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم ، إنَّه قريب مجيب وبالإجابة جدير ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

٢١ ربيع الآخر ١٤٣٤هـ

٣ مارس ٢٠١٣م

كتبه

هشام الكامل حامد موسى

متن الخريدة البهية

١- يَقُولُ رَاجِي رَحْمَةَ القَديرِ   أي أَحْمَدُ المَشْهورُ بالدرديرِ

٢- الحَمْدُ للهِ العَليِّ الواحِدِ   العَالِمِ الفَرْدِ الغَنيِّ المَاجِدِ

٣- وأَفْضَلُ الصلاةِ والتَسْليمِ   على النَبيِّ المُصْطَفى الكَريمِ

٤- وآلِهِ وصَحْبِهِ الأطْهَارِ   لاسيما رَفيقُهُ في الغَارِ

٥- وهذه عَقيدَةٌ سَنيَّةْ   سَمَّيْتُها الخَريدَةَ البَهيَّةْ

٦- لَطيفَةٌ صَغيرَةٌ في الحَجْمِ   لكنَّها كَبيرَةٌ في العِلْمِ

٧- تَكْفيكَ عِلْمًا إنْ تُرِدْ أَنْ تَكْتَفي   لأَنَّها بزُبْدَةَ الفَنِّ تَفي

٨- واللهَ أَرْجو في قَبولِ العَمَلِ   والنَفْعَ مِنْها ثُم غَفْرَ الزَلَلِ

٩- أَقْسَامُ حُكْمِ العَقْلِ لا مَحالَةْ   هي الوُجوبُ ثم الاسْتِحَالَةْ

١٠- ثُمَّ الجَوازُ ثَالِثُ الأقْسَامِ   فافْهَمْ مُنحْتَ لَذَّةَ الأَفْهَامِ

١١- وواجِبٌ شَرْعًا على المُكَلَّفِ   مَعرِفَةُ اللهِ العَليِّ فاعْرِفِ

١٢- أَيْ يَعرِفُ الواجِبَ والمُحَالا   مَعْ جَائِزٍ في حَقِّهِ تَعالى

١٣- ومِثْلُ ذا في حَقِّ رُسْلِ اللهِ   عَلَيهِمِ تحِيَّةُ الإلهِ

١٤- فالواجبُ العقليُّ مَا لَمْ يَقبَلِ   الانتفا في ذاتِهِ فابتَهِلِ

١٥- والمُسْتَحيلُ كلُّ ما لم يَقْبَلِ   في ذَاتِهِ الثُّبُوتَ ضِدَّ الأوَّلِ

١٦- وكُلُّ أَمْرٍ قابِلٍ للانْتفا   وللثُبوتِ جائِزٌ بِلاَ خَفَا

١٧- ثَّم اعْلَمَنْ بأنَّ هذا العَالَمَا   أيْ مَا سِوى اللهِ العَليِّ العَالمَا

١٨- مِنْ غَيْرِ شَكّ حَادِثٌ مُفْتَقِرُ   لأَنَّهُ قَامَ بِهِ التغيُّرُ

١٩- حُدوثُهُ وجُودُهُ بَعدَ العَدَمْ ... وضِدُّهُ هُوَ المُسَمَّى بالقِدَمْ

٢٠- فاعْلَمْ بأنَّ الوَصفَ بالوُجودِ ... مِنْ واجباتِ الواحِدِ المَعْبودِ

٢١- إذْ ظاهِرٌ بأنَّ كُلَّ أَثَرِ ... يَهْدي إلى مُؤثِّرٍ فاعْتَبِرِ

٢٢- وذي تُسمَّى صِفةً نَفسِيَّةْ ... ثمَّ تَليها خَمْسَةٌ سَلْبِيَّةْ

٢٣- وهي القِدَمْ بالذات فاعْلَمْ والبَقَا ... قيامُهُ بنَفْسِهِ نِلْتَ التُّقَى

٢٤- مُخالِفٌ للغَيرِ وَحْدانيَّةْ ... في الذَّاتِ أو صِفَاتِه العَلِيَّةْ

٢٥- والفِعْلِ في التأثيرِ لَيسَ إلا ... للواحِدِ القَهَّارِ جَلَّ وعَلا

٢٦- ومَنْ يَقُلْ بالطَّبعِ أو بالعِلَّةْ ... فَذاكَ كُفْرٌ عَنْدَ أَهْلِ المِلَّةْ

٢٧- ومَنْ يَقُلْ بالقُوَةِ المُودَعَةِ ... فَذاكَ بِدْعِيٌّ فلا تَلْتَفِتِ

٢٨- لَوْ لم يَكُنْ مُتَّصِفًا بها لَزِمْ ... حُدوثُهُ وَهْوَ مُحالٌ فاسْتَقِمْ

٢٩- لأنَّهُ يُفْضي إلى التَسَلْسُلِ ... والدَّوْرِ وهْوَ المُستَحيلُ المُنْجَلي

٣٠- فَهْوَ الجليلُ والجميلُ والوَلي ... والطَّاهِرُ القُدُّوسُ والرَّبُّ العَلي

٣١- مُنَزَّهٌ عن الحُلولِ والجِهَةْ ... والاتِّصَالِ الانْفِصَالِ والسَّفَهْ

٣٢- ثُمَّ المَعاني سَبْعَةٌ للرَّائي ... أي عِلْمُهُ المُحيطُ بالأشْياءِ

٣٣- حَياتُهُ وقُدْرَةٌ إرادَةْ ... وكُلُّ شيءٍ كَائِنٌ أرَادَهْ

٣٤- وإنْ يَكُنْ بضِدِّه قَدْ أمَرا ... فالقَصْدُ غيرُ الأمرِ فاطْرَحِ المِرَا

٣٥- فقَد عَلمتَ أربَعًا أقْساما ... في الكائناتِ فاحْفَظ المَقاما

٣٦- كَلامُهُ والسَّمْعُ والإبْصَارُ ... فهْوَ الإلهُ الفاعِلُ المُخْتارُ

٣٧- وواجِبٌ تَعْليقُ ذي الصِّفات ... حَتْمًا دوامًا ما عَدَا الحَياة

٣٨- فالعِلْمُ جَزمًا والكَلامُ السَّامي ... تعَلَّقا بسَائِرِ الأَقْسَامِ

٣٩- وقُدْرَةٌ إرادَةٌ تَعَلَّقا ... بالممكِناتِ كُلِّها أخَا التُقَى

٤٠- واجزِمْ بأنَّ سَـمْعَهُ والبَصَـرا ... تَعَلَّقَـا بِكُـلِّ مَوجـودٍ يُـرَى

٤١- وكُلُّهـا قَديمَـةٌ بالـذَّات ... لأنها لَيْسَـتْ بغَـيرِ الـذَّات

٤٢- ثُمَّ الكَلامُ لَـيْس بـالحُروف ... ولَـيْسَ بالتَّرتيـبِ كالمَـألوف

٤٣- ويَسْتَحيلُ ضِـدُّ مـا تَقَـدَّمَا ... مِنَ الصِّـفَاتِ الشَّـامخات فاعلَمَـا

٤٤- لأنَّه لـو لم يكُـنْ مَوصُـوفَاً ... بِهـا لكَـانَ بالسِّـوَي مَعْروفَـا

٤٥- وكُلُّ مَنْ قَـامَ بِـهِ سِـواها ... فهْوَ الـذي في الفَقْـرِ قَـد تَنَـاهى

٤٦- والواحِـدُ المَعْبـودُ لا يَفْتَقِـرُ ... لغَـيرِهِ جَـلَّ الغَـنِيُّ المُقْتَـدِرُ

٤٧- وجَـائزٌ في حَقِّـهِ الإيجَـادُ ... والتَّـرْكُ والإشْـقَاءُ والإسْـعَادُ

٤٨- ومَنْ يَقُلْ فِعلُ الصَّلاحِ وَجَبَـا ... علـى الإلـهِ قَـدْ أَسـاءَ الأدَبـا

٤٩- واجْزِم أخـي بِرُؤيـةِ الإلـهِ ... في جنَّـةِ الخُلْـدِ بـلا تَنَـاهي

٥٠- إذِ الوُقـوعُ جـائزٌ بالعَقـلِ ... وقَـدْ أتَـى فيـهِ دَليـلُ النَّقـلِ

٥١- وصِفْ جَميعَ الرُسْلِ بالأمَانَـةْ ... والصِّـدْقِ والتَّبْليـغِ والفَطَانَـةْ

٥٢- ويَسْـتَحيلُ ضِـدُّها عَلـيهِمِ ... وجَـائزٌ كَالأكْـلِ في حَقِّهِـمِ

٥٣- إرْسَـالُهُم تفضُّـلٌ ورَحمَـةْ ... للعـالَمِينَ جَـلَّ مُـولي النِّعْمَـةْ

٥٤- ويَلْـزَمُ الإيمـانُ بالحِسـاب ... والحَشْـرِ والعِقَـاب والثَّـواب

٥٥- والنَّشْرِ والصِّـراطِ والمِيـزان ... والحَـوضِ والـنيران والجِنَـان

٥٦- والجِنِّ والأمـلاكِ ثم الأنبيـا ... والحُـورِ والولْـدان ثم الأوليـا

٥٧- وكُلُّ ما جَـاءَ مِـنَ البَشـيرِ ... مِنْ كُلِّ حُكْـمٍ صـارَ كالضَّـرُوري

٥٨- وينْطَوي في كَلْمَـةِ الإسْـلامِ ... ما قَدْ مَضى مِـنْ سـائِرِ الأحْكَـامِ

٥٩- فأكْثِرَنْ مِن ذِكْرِهَـا بـالأدَبِ ... تَرقى بِهذا الـذِّكرِ أعلـى الرُّتَـبِ

٦٠- وغَلِّبِ الخَوْفَ علـى الرَّجـاءِ ... وسِـرْ لمـولاكَ بـلا تَنـاءِ

٦١- وجَـــدِّدِ التَّوْبَـــةَ لِـــلأوزارِ لا تَيْأَسَـــنْ مِـــنْ رَحمَـــةِ الغَفَّـــار

٦٢- وكُنْ علـــى آلائِـــهِ شَـــكُورًا وكُـــنْ علـــى بَلائِـــهِ صَـــبُورًا

٦٣- وكُلُّ شيءٍ بالقَضـــاءِ والقَـــدَرْ وكُـــلُّ مَقـــدورٍ فَمـــا عَنْـــهُ مَفَـــرْ

٦٤- فكُنْ لَهُ مُسَلِّمًا كَـــي تَسْـــلَمَا واتْبَـــعْ سَـــبيلَ النَّاســـكينَ العُلَمـــا

٦٥- وخَلِّصِ القَلْبَ مِـــنَ الأَغْيَـــارِ بالجِـــدِّ والقِيَـــامِ بالأَسْـــحَارِ

٦٦- والفِكْرِ والذِّكْرِ على الـــدَّوامِ مُجتَنِبًـــا لِســـائِرِ الآثـــامِ

٦٧- مُراقِبًـــا لله في الأَحْـــوالِ لِتَرْتَقِـــي مَعَـــالِمَ الكَمـــالِ

٦٨- وقُـــلْ بِـــذُلٍّ رَبِّ لا تَقْطَعْـــنِي عَنْـــكَ بِقَـــاطِعٍ ولا تَحْـــرِمْنِي

٦٩- مِنْ سِرِّكَ الأَبْهَى المُزِيلِ للعَمَى واخْتِمْ بِخَـــيرٍ يـــا رحِـــيْمَ الرُّحَمَـــا

٧٠- والحَمْـــدُ لله عَلـــى الإتْمَـــامِ وأَفْضَـــلُ الصَّـــلاةِ والسَّـــلامِ

٧١- على النَّبيِّ الهاشِـــميِّ الخَـــاتِمِ وآلِـــهِ وَصَـــحْبِهِ الأَكَـــارِمِ

ترجمة الإمام أحمد الدردير
- رحمه الله تعالى -

اسمه ولقبه :

هو الإمام العالم العلامة شيخ المالكية ، مالك الصغير الشيخ : أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي الأزهري ، أبو البركات الشهير بالدردير ، وسبب لقبه بالدردير أن قبيلة من العرب نزلت ببلده ، وكان كبيرهم رجل مبارك من أهل العلم والفضل يدعى « الدردير » ، فلُقِّبَ الشيخ « أحمد » به تفاؤلاً

ولد - رحمه الله - ببني عدي بأسيوط من محافظات صعيد مصر سنة (١١٢٧هـ)، وحفظ القرآن الكريم في صغره ، وتفقَّه على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه .

من شيوخه :

١- الشيخ أحمد الصباغ ، أخذ عنه علوم الحديث .

٢- شمس الدين محمد بن سالم الشهير بالحنفي، أخذ عنه طريق التصوف وعلومه ، وبه تخرّج في طريق القوم ، فَتلقّن الذكر وطريقة الخلوتية منه حتّى صار من أكبر خلفائه .

٣- أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الفتاح الشهير بالملوي .

٤- نور الدين علي بن أحمد الشهير بالصعيدي ، تلقى عنه الفقه ولازَمه في كل دروسه .

٥- سمع الحديث المسلسل بالأَوَّلِية عن الشيخ محمد الدفراوي بشرطه .

- لقب الدردير بشيخ أهل الإسلام وبركة الأنام ، لتفوقه في العلوم العقلية والنقلية ، وقد كان عالمًا زاهدًا ، قوَّالاً للحق ، زجَّارًا للخلق عن المنكَرات والمعاصي ، لا يهاب واليًا ولا سلطانًا ولا وجيهًا منِ الناس ، وكان سليم الباطن مهذب النَّفس كريم الأخلاق ، ولما توفي الشيخ علي الصعيدي تم تعيينه شيخًا للمالكية ، وفقيهًا وناظرًا لـ « وَقْفِ الصعايدة » بل وشيخًا لـ « رواق الصعايدة » في الأزهر الشريف ، فكان يأمر بالمعروف ، وينهي عن المنكر ، كلاًّ من الراعي والرعية ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، وله في السّعي على الخير يدٌ بيضاء .

- ومن مواقفه المشهودة التي تواتر بها الخبر موقفه مع أحد الولاة العثمانيين ، والذي أراد فور تعيينه أن يكون الأزهر هو أول مكان يزوره؛ حتى يستميل المشايخ ، لعلمه بقدرتهم على تحريك ثورة الجماهير في أي وقت شاءوا ، وعند حدوث أول مظلمة ، فلمَّا دخل ورأى الإمام الدردير جالسًا مادًّا قدميه في الجامع الأزهر وهو يقرأ وردَهُ من القرآن غضب ؛ لأنه لم يقم لاستقباله والترحيب به ، وقام أحد حاشيته بتهدئة خاطره بأن قال له : « إنه مسكين ضعيف العقل ولا يفهم إلا في كتبه يا مولانا الوالي »، فأرسل إليه الوالي صرة نقود مع أحد الأرقّاء ، فرفض الشيخ الدردير - رحمه الله - قبولها وقال للعبد : « قل لسيدك من مدّ رجليه فلا يمكن له أن يَمُدَّ يديه » فكان الشيخ قدوة في الحال والمقال .

مكانته العلمية : اشتهر بالعلم والتدريس في الجامع الأزهر الشريف ، وتولى مشيخة الطريقة الخلوتية .

من تلاميذه :

أخذ عن الشيخ الدردير كثير من العلماء الأجلاء ، تخرجوا على يديه ، وانتفعوا بعلومه ، منهم :

١- الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي .

٢- أبو الخيرات مصطفى العقباوي الذي أكمل شرح أقرب المسالك .

٣- أبو العباس أحمد بن محمد الصاوي .

٤- أبو الفلاح صالح بن محمد بن صالح السباعي .

٥- أبو الربيع سليمان بن محمد الفيومي .

من تصانيفه :

١- أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك .

٢- منح القدير شرح مختصر خليل ، «في الفقه المالكي» .

٣- فتح القدير في أحاديث البشير النذير .

٤- تحفة الإخوان في آداب أهل العرفان ، «في التصوف» .

٥- رسالة في متشابهات القرآن .

٦- التوجه الأسنى بنظم الأسماء الحسنى .

٧- رسالة في المولد النبوي الشريف .

٨- الخريدة البهية ، وهو المتن المشروح في هذا الكتاب .

وفاته : تعلّل[1] أيامًا ، ولزم الفراش مدة حتى توفي في السادس من شهر ربيع الأول سنة (١٢٠١هـ) ، وقد صُلي عليه في الجامع الأزهر بمشهد عظيم حافل ، ودفن بزاويته التي أنشأها بالكعكيين خلف الجامع الأزهر الشريف ، وبجوار ضريح يحيى بن عقب رضي الله عنه ، وهو مسجد الآن يحمل اسمه يقصده الطلاب من كل مكان لدراسة العلوم الشرعية .

* * *

(١) تعلل : مرض .

المذهب الأشعري

مذهب أهل السنة والجماعة

هو نسبة للإمام «أبي الحسن الأشعري» ـ رحمه الله ـ، وكل من ينتسب إليه فما هو إلا متّبع لآراء الإمام الأشعري في مسائل علم العقيدة، وهي تقرير وتجميع وحصر لآراء السلف الصالح، وإخراجها في صورة تناسب عصر الإمام الأشعري ، فقد كان الناس في زمن رسول الله ﷺ يكفيهم سورة الإخلاص لفهم العقيدة والتصديق بالخالق .

يقول الإمام «الزبيدي» ـ رحمه الله ـ : «وليعلم أن كلاًّ من الإمامين «أبي الحسن الأشعري» ، و«أبي منصور الماتريدي» ـ جزاهما الله عن الإسلام خيرًا ـ لم يُبدعا من عندهما رأيًا ، ولم يشتقا مذهبًا ، إنما هما مقرران لمذهب السلف ، مناضلان عما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ؛ فأحدهما ـ أبو الحسن ـ قام بنصرة نصوص مذهب الشافعي وما دلت عليه، والثاني ـ أبو منصور ـ قام بنصرة مذهب أبي حنيفة وما دلّ عليه ، وناظر كل منهما ذوي البدع والضّلالات حتى قطعوا وولّوا منهزمين ، وهذا في الحقيقة أصل الجهاد الحقيقي»[1] .

ومعظم أهل القبلة يتبعون المذهب الأشعري في العقيدة .

(١) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (٢/٦) .

- **والخلاصة** : أن المذهب الأشعري هو مذهب أهل السنة والجماعة، والانتساب إلى «أبي الحسن الأشعري» - رحمه الله - كالانتساب إلى المذهب الفقهية «الحنفي ، والمالكي ، والشافعي ، والحنبلي» ، فليس بدعًا من الدين ، وعامّة أهل القبلة أشاعرة وماتريدية ، والخلاف في العقيدة كدين لا يوجد ؛ فالله حق ، والرسول حق ، واليوم الآخر حق ، أما العقيدة كعلم فيوجد فيه الخلاف ؛ خاصّة بعد دخول الأعاجم للإسلام من الروم والفرس .

ومن صور الخلاف : رؤية الله تعالى واقعة أوْ لا ؛ وكذلك الإيمان والإسلام هل هناك فرق بينهما أو لا ، وهل الإيمان يزيد وينقص ؛ وغير ذلك من المسائل .

وقد كان الناس في زمن النبوة يكفيهم سورة الإخلاص ، أما بعد كثرة الفتوحات واتّساع الرقعة الإسلامية واختلاط الأفكار والثقافات كان لزامًا على أهل العلم في كل عصر أن يقوموا بواجب العصر ، وذلك من خلال إقامة الأدلة وإزالة الشُّبه ؛ فظهر علم العقيدة في ثوبٍ جيدٍ مملوءٍ بالمناقشات والرّدود والمناظرات والحجج .

* * *

نشأة علم الكلام

علم الكلام هو علم العقيدة ؛ إلا أن العلماء أكثروا من الكلام لإقناع الخصوم ، لكن في حقيقة الأمر هذا الكلام هو العقيدة الواضحة المدللة التي جاء بها القرآن الكريم وأوضح معالمها الرسول ﷺ وتناولها الناس بالقبول .

وعلم الكلام أفضل العلوم وأهمها حيث تنبني عليه سعادة الدارين ، فيحيا المسلم في الدنيا مطمئن القلب بما جاء عن رسول الله ﷺ بعيداً عن الزيغ والكفر ، ويوم القيامة ينجو من حرّ جهنم .

وهذه هي العقيدة الصحيحة المعتدلة الموافقة للأدلة النقلية والعقلية ، والمؤسسة على تنزيه المولى ـ تبارك وتعالى ـ ، وعلى التمسك بهدي نبيّه ﷺ وصحابته الكرام والسلف الصالح ، وهي المسماة بعقيدة أهل السنة والجماعة ، وهي عقيدة تمنع تكفير أي مسلم من أهل القبلة مهما ارتكب من الذنوب ما لم يكن مستحلاً لها[1].

قال الإمام أبو حامد الغزالي ـ رحمه الله ـ : إنما مقصوده حفظ عقيدة أهل السُّنة ، وحراستها عن تشويش أهل البدعة ، فقد ألقى الله تعالى إلى عباده على لسان رسوله عقيدة هي الحق ، على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، كما نطق بمعرفته القرآن والأخبار ، ثم ألقى الشيطان في وساوس

(١) شرح الخريدة البهية مقدمة د. جمال فاروق (ط كشيدة ص ١٩) .

المبتدعة أمورًا مخالفة للسُّنة ، فلهجوا بها ، وكادوا يشوّشون عقيدة الحقّ على أهلها .

فأنشأ الله تعالى طائفة المتكلّمين ، وحرَّك دواعيهم لنصرة السُّنة بكلام مرتّب ، يكشف عن تلبيسات أهل البدع المحدثة ، على خلاف السّنة المأثورة ، فمنه نشأ علم الكلام وأهله ، فلقد قام طائفة منهم بما ندبهم الله تعالى إليه ، فأحسنوا الذَّبَّ عن السّنة ، والنّضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول من النّبوة ، والتغيير في وجه ما أحدث من البدعة ، ولكنهم اعتمدوا في ذلك على مقدماتٍ تسلّموها من خصومهم ، واضطرهم إلى تسليمها : إما التقليد ، أو إجماع الأمة ، أو مجرد القبول من القرآن والأخبار ، وكان أكثر خوضهم في استخراج تناقضات الخصوم ، ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم[1] .

ويقول «عبد الرحمن بن خلدون» : «هو علم يتضّمن الحِجاج عن العقائد الإيمانيّة بالأدلّة العقليّة ، والردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنّة»[2] .

ثم إن علم الكلام لم يظهر دفعة واحدة بل ابتدأ في الظهور في أواخر القرن الأول الهجري ، ولم تتحدد معالمه إلا على يد أبي الحسن الأشعري - رحمه الله - ، وبدأ هذا العلم تدريجيًا ومسألةً مسألة حسب ما كان يظهر من شبهاتٍ حول القضايا الإيمانية .

ومن الأسباب القوية لظهور هذا العلم الآيات المتشابهة واختلاف العلماء في تفسيرها .

---

(١) المنقذ من الضلال (ص ١٤) .
(٢) تاريخ ابن خلدون (١/٤٥٨) .

العقائد في عصر النبوة :

تميز هذا العصر بالقلوب الصافية ، والفطرة السليمة ، ومحاولة لجمع العرب تحت دين واحد ، وإقامة دولة الإسلام مع الحرص على إبعاد المسلمين عن كل ما يثير الخلاف ، ونهى الرسول ﷺ عن التنازع في أمور الدين والجدل المؤدي إلى الخصومة ، والتزم المسلمون بذلك ، فأزال نور صحبة رسول الله ﷺ عن الصحابة ظلم الشكوك والأوهام ، واستقوا العقائد من القرآن الكريم ، والسُّنة المشرفة بإيمان راسخٍ ، وعقيدةٍ قويةٍ ، فلم يخوضوا في مسائل معقدة ، ولم يخالطوا الفلاسفة ، ولم يشتغلوا بما لا فائدة منه في دينهم .

ولم يحدث بينهم إلا بعض الخواطر التي دارت في عقول بعضهم ، كما في رواية مسلم في صحيحه : عن أبي ذرٍّ ﷺ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ ، ثُمَّ أَتَيْته فَإِذَا هُوَ نَائِمٌ ، ثُمَّ أَتَيْته وَقَدْ اسْتَيْقَظَ ، فَجَلَسْت إِلَيْهِ فَقَالَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لا إِلَه إِلا الله ثُمَّ ماتَ عَلَىذَلِكَ إلا دَخَلَ الْجَنَّة ». قُلْت : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ : « وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ » قُلْت : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ : « وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ » (ثَلاثًا) ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَة : « عَلَى رَغْم أَنْف أَبِي ذَرّ » .

فائدة : تعد مسألة القضاء والقدر أولى المسائل التي حفَّزَت على البحث والتفكير ، وأنّ بوادر النزاع حول ذلك بدأ يظهر على استحياء في عصر النبوة .

والحق أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يؤمنون بأقوى الأدلة اليقينية التفصيلية لا الإجمالية ، لأنهم هداة وكانوا دعاة الناس إلى الإسلام فكيف يدعو غيره من لا يؤمن عن يقين ؟

والدليل على ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ أَهْلِ الأَرْضِ لَرَجَحَ بِهِمْ» [شعب الإيمان للبيهقي]، وما ذلك إلا لكثرة الأدلة ووضوحها، غاية الأمرِ أنهم ببركة صحبة النبي ﷺ وقرب العهد بزمانه كانوا مستغنين عن ترتيب المقدمات وتهذيب الدلائل على الوجه الذي ينطبق على القواعد المدونة الآن ولكنها لا تخلو منها ولا تقل عنها إن لم تكن تزيد على ذلك قرائن الأحوال التي كانوا يشاهدونها من النبي ﷺ[1] .

خلاصة العقيدة :

ومن شدة حرص الرسول ﷺ على يسر العقيدة وفهم الناس لأمورها بطريقة سهلة أنه لخّص العقائد في حديث واحد : عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُولُه ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه وَكَلِمَتُهُ ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ، وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»، [رواه البخاري، وأحمد] ، فقد اشتمل الحديث على الإلهيات والنّبوات والسّمعيات .

والقرآن الكريم فيه الكثير من الآيات التي تدعو إلى صحيح الاعتقاد وترك الشرك والانتقال من آلة مزورة كالأصنام إلى عبادة الواحد الأحد

---

(١) محاضرات في العقيدة الإسلامية ، أ. د. محي الدين الصافي ، (ص ٢٠)، ط. مكتبة الإيمان .

الذي لا يراه العباد إلا أنهم يؤمنون به إيمانًا راسخًا . قال تعالى : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ (الإخلاص:١-٤) .

العقائد في عصر الخلفاء الراشدين (١١هـ - ٤٠هـ)

تميز هذا العصر باتّساع رقعة الإسلام ، ودخول الفرس والروم مع اختلاف الحضارات والثقافات والأفكار ، فاتصل العرب بغيرهم من الأمم ، وكثرت الحوادث والمستجدات ، فأخذ الخلفاء الراشدون يسيرون على ما كان عليه رسول الله ﷺ حيث رفض التنازع ، والتمسك بوحدة الكلمة ، والرّجوع إلى الكتاب والسنة ، إلى أن وقع الخلاف في أواخر هذا العصر ، وحدثت الفتن ، فظهرت الفرق ، كالخوارج والشيعة والمرجئة .

وقد شغل الناس في هذا العصر الفتوحات الإسلامية في الأمصار لنشر الإسلام عن علم الكلام .

العقائد في عصر الدولة الأموية (٤١هـ - ١٣٢هـ)

فرغ المسلمون من تأسيس الدولة وانتشر الإسلام في ربوع الأرض ، وصارت قوة الإسلام لا مثيل لها ، وانتشر علماء الإسلام في كل مكان ، وأسست المدارس والعواصم ، فاتّجه العلماء إلى دراسة القرآن الكريم والحديث واللغة ؛ ليتعرّفوا على أحكام الحوادث التي استجدّت ، وأخذ الفكر يتعمّق ، كما يلاحظ أن الشعوب التي دخلت الإسلام دخلت ومعها بعض الأفكار والثقافات ، ومنهم من أظهر الإسلام وأبطن الكفر ، فظهر من تكلم في القدر ، ومن ينفي عن الإنسان القدرة والإرادة ، وأخذت الفرق ، كالخوارج تنشر مقالاتها ، ككفر مرتكب الكبيرة ، وظهرت المعتزلة ،

فتولَّدت من كل هذا مسائل اعتقادية كانت موضع تنازع وتحاور ، وافترقت كلمة المسلمين فصاروا فرقًا ، فظهر علم الكلام على أيدي أصحاب هذه الفرق خاصة المعتزلة .

وقد بدأ التأليف في علم الكلام في هذا العصر حيث ألف « الحسن بن محمد ابن الحنفية » (ت ٩٥هـ) في « مذهب الإرجاء » ، ثم ألَّف « واصل ابن عطاء » شيخ المعتزلة كتاب « التوحيد » ، ولم يصل شيء من هذا المؤلَّف .

العقائد في العصر العباسي (١٣٢هـ - ٦٥٦هـ)

تميَّز هذا العصر بانتشار الترجمة والتأليف ووسائل الكتابة ، مما أدى إلى دخول علم الفلسفة ساحة العلماء ، وكثر الجدل ، وارتفع سلطان بعض الفرق ، كالمعتزلة حيث اعتنق بعض الخلفاء آراء الاعتزال ، ووصل الأمر إلى حبس من يخالفهم ، أو قتله ، أو تعذيبه ، وظهرت مسائل جديدة صارت فتنة على العلماء ، كمسألة خلق القرآن التي نالت من الكثير من العلماء ، ومن أشهرهم الإمام « أحمد بن حنبل » (ت ٢٤١هـ) حيث حبس في داره سبع عشرة سنة .

وعندما زال سلطان المعتزلة وترك الخلفاء العباسيون الاعتزال ، قام العلماء للرد على آرائهم ومناقشتهم .

فقام في العراق « أبو الحسن الأشعري » (ت ٣٢٤هـ أو ٣٣٠هـ) الذي انتصر لمذهب أهل الحق .

ومن بلاد ما وراء النهر « أبو منصور الماتريدي » (ت ٣٣٣هـ)؛ فأسسا مذهب أهل السنة والجماعة بصورة مناسبة لواقعهم ، وانتصرا للكتاب

والسنة ، فكثر اتباعهما ، وانتشرت آراؤهما في المشرق والمغرب ، وكتب الله تعالى السيادة لكتب «الأشعري» أكثر من «الماتريدي» ، وقد انتقل المذهب الأشعري من العراق إلى الشام ، ثم إلى مصر على يد «صلاح الدين الأيوبي» ، ثم انتشر هذا المذهب في بلاد المغرب على يد «أبي عبد الله محمد بن تومرت» .

وقد ألَّف الإمام «الأشعري» ـ رحمه الله ـ كتاب : «مقالات الإسلاميين» وغيره .

وقد سار على نهجه أعلام منهم :

- أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) .
- أبو إسحاق الإسفراييني (ت ٤١٨هـ) .
- أبو المعالي عبد الملك الجويني (ت ٤٧٨هـ) .

حيث الجمع بين الأدلة النقلية والعقلية .

ثم جاء أعلام بعد ذلك راعوا قواعد المنطق ، وتوسَّعوا في معرفته ، مثل:

- أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) .

فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) .

ثم جاء من أتباع الإمام «الأشعري» ـ رحمه الله ـ من توسع في مطالعة كتب الفلسفة واستعمال القواعد المنطقية ، مثل :

- الإمام البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) .
- عضد الدين الإيجي (ت ٧٥٦هـ) .

ثم انتشرت كتب أهل العلم القائمة على بيان الأدلة من الكتاب والسنة

والعقل ؛ لمناقشة المنكرين والملحدين ، واختلفت طريقة تدوينهم من نظم ونثر وشرح وحواش ، فجاء الإمام « السنوسي » (ت ٨٩٥هـ) وألف عدة كتب، من أشهرها :

- « العقائد السنوسية الكبرى والصغرى » ، وكثرت الشروح والحواشي على هذه المؤلفات .

العقائد في العصر العثماني :

العصر العثماني تميَّز بكثرة المتون المختصرة حتى يحفظ الطلاب ، وقام على شروح المتون السابقة وكتابة الحواشي خاصَّة الكتب التي تُدَرَّس في المساجد ودور العلم ، وأبرزها الجامع الأزهر الشريف ، ومن أهم الكتب والعلماء الذين ساهموا في نشر علم العقيدة في ذلك العصر :

الإمام « إبراهيم اللقاني » (ت ١٠٤١هـ) وألَّف :

- « جوهرة التوحيد » ، وشرحها عدة شروح ، وكثرت الشروح والحواشي عليها ، ومن أشهر شروحها شرح المؤلف نفسه ، وولده « عبد السلام » ، و« الباجوري » ، و« الصاوي » ، و« الصفاقسي » .

ثم جاء الإمام « أحمد الدردير » (ت ١٢٠١هـ) وألَّف :

- « الخريدة البهية » ، وشرحها ، وعليها « حاشية الصاوي » (ت١٢٤١هـ)، و« حاشية السباعي » (ت ١٢٦٦هـ) ، و« حاشية المطيعي » (ت ١٣٥٤هـ) .

كما كتب الإمام أحمد الدردير العقائد الإسلامية بمختصر لطيف في عدة سطور ، وقد شرحه العقباوي والحامدي ، ثم لخّص العقيدة الباجوري (ت١٢٧٧هـ) .

ثم نظم العلامة «أحمد المرزوقي» (ت ١٢٨١هـ) أو (١٢٦٢هـ) ملخصًا عظيمًا سماه «منظومة عقيدة العوام» وعليها شروح مطبوعة[1] .

وصار من عادة العلماء أن يفتتحوا كتب الفقه بكلام موجز عن علم العقيدة ، كما في كتاب «زُبد ابن رسلان» و«تنوير القلوب» للإمام «محمد أمين الكردي» (ت ١٣٣٢هـ) .

العقائد في العصر الحديث :

ظلَّ الأزهر فارسًا قويًا يحمي العقيدة من كل سوء ، ويدفع بالعلماء في كل مكان لنشر العلم ؛ خاصّة المعاهد الأزهرية التي يدرّس فيها شرح الخريدة لطلاب الإعدادية ، وحاشية الباجوري على الجوهرة لطلاب الثانوية، ثم تغير الحال فصارت الخريدة وعليها شرح المؤلف تدرّس على طلاب الثانوية ، والجوهرة بحاشية الباجوري تدرس في الكليات .

وكان النظام القديم تُدرَّس فيه شروح السنوسية الصغرى على طلاب الابتدائية ، وبعد إنشاء الجامعة الأزهرية كثر جهد المدرسين بها ومن أجمل ما قرأت كتب الأستاذ الدكتور محمد سيد المسير (التمهيد ـ الإلهيات ـ النبوات ـ الغيب) .

وكذلك كتب الأستاذ الدكتور محي الدين الصافي .

وكذلك كتاب : كبرى اليقينيات للأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي الدمشقي .

وكذلك مجهود الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ «عقيدة المسلم» .

وكثر ـ ولله الحمد ـ قراءة كتب التراث بالجامع الأزهر الشريف وبالكثير من المساجد ، وكثرت قراءة المتون والشروح التي تنير العقول والقلوب .

---

(١) ومنها شرحنا المسمّى (فتح العلام شرح منظومة عقيدة العوام) .

التعريف بإمام الأشاعرة

هو الإمام أبي الحسن الأشعري علي بن إسحاق ، وينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه الصحابي الجليل .

مولده : ولد بالبصرة (٢٦٠هـ) .

نشأته : عاش ببغداد طوال حياته وتأثر بما فيها من تيارات فكرية؛ حتى صار من فرقة المعتزلة ، وتتلمذ على يد «علي الجبائي» شيخ المعتزلة وظلَّ على الاعتزال أربعين عامًا مدافعًا عنهم مقتنعًا بفكرهم .

وبعد مناقشة بينه وبين شيخه حول مسألة الصلاح والأصلح رجع عن أقواله الاعتزالية ، وصعد يوم الجمعة بالمسجد الجامع بالبصرة وأعلن عن رجوعه عن كل أقوال فرقة المعتزلة . بل أخذ يرد أقوال المعتزلة ويناقشهم وينتصر عليهم حتى صار إمام عصره ، فظهرت فرقة أهل الحق .

قال العز بن عبد السلام : إن عقيدة الأشاعرة اجتمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة .

وقد كان مذهب الأشعري - رحمه الله - الفقهي هو مذهب الشافعية ، وقد منحه الله تعالى موهبة التأليف ، فكتب مقالات الإسلاميين والإبانة والرد على ابن الراوندي .

ويعد الأشعري - رحمه الله - مجدد المائة الثالثة ، وناصر السُّنة وإمام المتكلمين ، وآراؤه منتشرة في جميع أنحاء العالم الإسلامي ؛ خاصّة أنها تُدرَّس في المعاهد والمدارس العلمية الإسلامية .

وفاته : توفي ببغداد سنة (٣٢٤هـ أو ٣٣٠هـ) .

* * *

المبادئ العشرة لعلم التوحيد

١- التعريف

لغة : العلم بأن الشيء واحد .

شرعًا : علم يُقتَدر به على إثبات العقائد الدينية المكتسبة من أدلتها اليقينية التفصيلية .

٢- اسمه : علم التوحيد ، وعلم العقيدة ، وعلم أصول الدين ، والفقه الأكبر ، وعلم الكلام ، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى .

٣- موضوعه : ذات الله تعالى من حيث ما يجب له ، وما يستحيل عليه، وما يجوز في حقه تعالى ، وذات الرسل من حيث ما يجب لهم ، وما يستحيل عليهم ، وما يجوز في حقهم ، والممكن من حيث إنه يُستدل به على صانعه .

٤- ثمرته : معرفة الله تعالى ، والفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة ، والوقوف على صحيح العقيدة من غيره ، والأدلة القاطعة على وجود الله تعالى ، ومحاورة الملحدين المنكرين لوجود الخالق سبحانه وتعالى .

٥- فضله : من أشرف العلوم لتعلُّقه بذات الله وصفاته ، والرُّسل والأنبياء .

٦- حكمه : الوجوب العيني .

٧- مسائله : الإلهيات ، والنبوات ، والسمعيات .

٨- نسبته : من العلوم الشرعية .

٩- استمداده : من الكتاب ، والسنة ، والنظر العقلي .

١٠- واضعه : الإمام «أبو الحسن الأشعري» ـ رحمه الله ـ (ت ٣٢٤هـ ، وقيل ٣٣٠هـ) ، والإمام «أبو منصور الماتريدي» ـ رحمه الله ـ (ت ٣٣٣هـ)، وهما إماما أهل السنة والجماعة ، وعليهما السواد الأعظم من المسلمين .

قال المقري :

مـــن رامَ فنًّـــا فليقـــدم أولا ... علـــم بحـــد ثم موضـــوع تـــلا

وواضـــعٌ ونســـبةٌ ومـــا اســـتمد ... منـــه وفضـــله حكـــم يعتمـــد

واســـمٌ ومـــا أفـــاد المســـائل ... فتلـــك عشـــر للمـــنى وســـائل

وبعضهم منها على الـــبعض اقتصـــر ... ومـــن يـــدري جميعهـــا انتصـــر

* * *

شرح المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم :

أي أبدأ تأليف هذا المتن باسم الله تعالى لما عُلِمَ من فضلها الكثير ولفعل النبي ﷺ وأمره بها ، والباء : للمصاحبة أو للتبرُّك أو للاستعانة .

واسم : مأخوذٌ من السُّمو ، والله : علم على الذات العلية الواجب الوجود المعبود الخالق للعالم الموصوف بكل كمال يليق بذاته ، المنزه عن كل نقص.

والرحمن: هو المنعم بجلائل النعم، والرحيم : هو المنعم بدقائق النعم.

والبسملة مشتملة على كل خير وبركة ، وهي بداية كل أمرٍ وعملٍ إن أردت له الخير والاستمرار وتجنب الشيطان .

والابتداء بالبسملة سنة واقتداء بالكتاب العزيز ، وافتتاحيات جميع رسائل النبي ﷺ للملوك والأمراء .

وجاء المصنف ـ رحمه الله ـ بالبسملة نثرًا لا نظمًا وهو الأفضل والأمثل، لأن نظم البسملة مكروه .

شرح المتن

١- يَقُولُ رَاجــي رَحْمَــةَ القَــدير　　أي أَحْمَــدُ المَشْــهورُ بالــدرديرِ

(يقول) : فعل مضارع يفيد التجدد والاستمرار .

(راجي) : الرجاء تأمُّل الخير وقربه مع مصاحبة العمل ؛ حتى لا يكون تمنيًا .

(رحمة) : الرحمة حينما تنسب إلى الله تكون بمعنى الإحسان ، أما الرحمة في حق الخلق هي رقة في القلب تصدر عن بعض الحوادث.
(القدير) : هو دائم القدرة سبحانه وتعالى .

(أي) : حرف تفسير وبيان . (أحمد) : هو مَن فاق غيره في المدح والثناء ، وهو اسم المصنف ـ رحمه الله ـ .

(المشهور) : المعروف .

(بالدردير) : لقبه ولقب أبيه وجده ، والدردير اسم لشيخ قبيلة عربية زارت جده ببني عديٍّ بأسيوط ، وبني عدي يتصل نسبهم إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، واشتهروا بالعلم وحفظ القرآن الكريم ، ومنهم الأكابر من أهل العلم .

فائدة : نسبة الكتاب لمجهول غير مُرغَّبٍ فيه ، ومن بركة العلم نسبة القول لقائله ، لذلك حرص المصنف على ذكر اسمه في المقدمة ، وقد كان بعض العلماء زهدًا يؤلِّفون الكتاب ولا يكتبون اسمهم عليه .

٢- الحَمْـــدُ للهِ العَلـــيِّ الواحِـــدِ　　العَـــالِمِ الفَـــرْدِ الغَـــنِيِّ المَاجِـــدِ

(الحمد) : لغة : الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم سواء أكان في مقابلة نعمة أم لا .

وشرعًا : فعل يُنَبِّيءُ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعمًا ولو على غير الحامد ، وسواءٌ أكان الفعل ذكرًا باللِّسان أم بالقلب .

فائدة : الحمد يقع على السراء في النعمة ، كما يقع على الضراء، ولذلك اقتصر عليه دون الشكر ، ولو جمع بينهما لكان أولى ، لأن الحمد ولو كان يقع على النعمة أيضًا لكنه باللسان فقط ، والشكريكون به وبغيره من القلب

والأركان ، فتحصّل أن أعم سببًا ، إذ سبب النعمة وغيرها وأخصّ محلاً ، إذ لا يكون إلا بآلة اللسان[1].

أركان الحمد :

أ- حامد (الذاكر) . ب ـ محمود (الله تعالى) .

جـ - محمود عليه (النعمة) . ح ـ محمود به (اللسان) .

د ـ صيغة .

وأفضل صيغة للحمد (الحمد لله رب العالمين) لورودها بالكتاب العزيز قال تعالى : ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (يونس:١٠) ، وقال الإمام الباجوري ـ رحمه الله ـ في حاشيته على الجوهرة : (الحمد لله حمدًا يوافي نعمك ويكافئ مزيدك) .

والحمد يبقى النعم ويزيدها ويبارك فيها، قال تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم:٧) .

فائدة : لابد أن يكون الثناء اختياريًا فلا ثناء على جميل أو حسن خلقه .

(لله) : اللام للاستحقاق . العلي : الذي ليسَ فَوْقه شيءٌ ، وعَلا الخَلْقَ قَهَرَهُم بقُدْرتِه ..

(الواحد): في ذاته وصفاته وأفعاله ، فهو سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء.

(العالم) : العالِمُ بِمَا كَانَ وما يَكونُ قَبْلَ كَوْنِهِ ، وبِما يَكونُ ولَمَّا يَكُنْ بعدُ ، لَمْ يَزَلْ عالَمًا ولا يَزالُ عالِمًا بِمَا كانَ وما يَكونُ ، ولا تَخْفَى عَليه خافِيةٌ في الأرْضِ ولا في السَّماءِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

(١) تقريب البعيد الصفاقسي ط . مؤسسة المعارف بيروت (ص ٣٢، ٣١) .

(الفرد) : الواحد الأحد . **(الغني)** : الذي لا يحتاج لخلقه .

(الماجد) : من المجد ، وهو الشرف والعظمة والكرم والعطاء الواسع .

٣- وأَفْضَلُ الصلاةِ والتَسْليمِ عَلى النَبيِّ المُصْطَفى الكَريمِ

(أفضل) : أتم وأكمل . **(الصلاة)** على النبي ﷺ : لغة : الدعاء بخير .

وهي من الله تعالى رحمة ، ومن الملائكة استغفار ، ومن المسلمين دعاء.

قال الفاكهاني : إنَّ الصلاة عليه عبادة لنا ، وزيادة حسنات في أعمالنا، قال: فيه نكتة[1] أخرى بديعة وهي : «أنه ﷺ أحبُّ الخلق إلى الله تعالى ، ونحن إنما نذكره بإذكار الله لنا ، فهو الذاكر في الحقيقة ، ومن أحبَّ شيئًا أكثر من ذكره» .

فائدة : الأمر بالصلاة على النبي ﷺ كان في السنة الثانية للهجرة ، وقيل : في ليلة الإسراء والمعراج في العام الحادي عشر من البعثة المحمدية .

(التسليم) : طلب السلامة له من كل مكروه وسوء في الدنيا والآخرة ، والسلام هو التحية ، وتكره الصلاة على النبي ﷺ من غير تسليم .

(النبي) : مشتقٌ من النبأ ، وهو الخبر ، أو من النبوَّة أي الرِّفعة ، والمراد هنا هو سيدنا محمد ﷺ ، وأل للعهد .

(المصطفى) : المختار وهو اسم مفعول من الاصطفاء ، وهو الاختيار .

(الكريم) : صيغة مبالغة من كَرُمَ ، والكرم : هو الإعطاء من غير مقابل .

---

(١) قال الزمخشري في أساس البلاغة : كل نقطة من بياض في سواد أو سواد في بياض ، نكته .

مسألة : حكم الصلاة على النبي ﷺ عند الشافعية في التشهد الأخير ركن من أركان الصلاة ، وتسن في غير الصلاة ،وهي تجلب كل خير ، وتصرف كل شر ، وهي قربة إلى الله تعالى .

فائدة : أفضل صيغ الصلاة على النبي ﷺ الصيغة الإبراهيمية لورودها في البخاري والإتيان بلفظ « سيدنا » يقتضي التشريف والتعظيم والأدب معه ﷺ ويظهر بركته فيمن لازم عليه .

فائدة : نَعْتُ الأنبياء بالصلاة عليهم زيادة رفعة ومكانة ، وهي اعتراف بفضلهم ؛ قال رسول الله ﷺ : « لا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ »[1] .

٤- وآلِـــه وصَـــحْبِهِ الأطْهَـــارِ   لاسِـــيما رَفيقُـــهُ في الغَـــارِ

(آله) : أصلها أَوَل أو أَهل ولا تضاف إلا لذي الشرف ولو كان كافرًا ، والمراد بالآل : بنو هاشم وبنو المطلب وهم مَنْ تَحرم عليهم الزكاة ، وفي مقام الدعاء كل تقي ، وهو المراد هنا ، والصلاة على الآل بالتبعية للصلاة على النبي ﷺ ، إذ تجوز الصلاة على غير الأنبياء تبعًا وتكره استقلالاً على المشهور .

فائدة : آل البيت المراد البيت النَّبوي الشريف وفي تحديدهم أقوال هي:

١- هم الذين حُرِّمَتْ عليهم الزكاة (بنو هاشم وبنو المطلب) .

٢- هم ذريته وأزواجه ـ ﷺ ـ خاصة .

٣- هم أتباعه ﷺ إلى يوم الدين .

٤- هم الأتقياء من أمته ﷺ .

---

(١) رواه أحمد (٧٧٥٥) ، وأبو داود (٤١٩٨) ، والترمذي ، صحيح الجامع (١٩٢٦) .

٥- هم أهل الكساء (سيدنا محمد ﷺ ، والإمام علي رضي الله عنه ، والسيدة فاطمة ـ رضي الله عنها ـ ، وسيدنا الحسن رضي الله عنه ، وسيدنا الحسين رضي الله عنه) وذريَّتهما .

والراجح : الأول ، وهو رأي الجمهور ، الذين حُرِّمَت عليهم الزكاة (بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وجميع أولاده وأحفاده وأزواجه ﷺ) .

فائدة : المراد بآل الرجل لغة : عشيرته المنسوبون إليه ، وهم أولاده ذكورًا كانوا أو إناثًا ، وأولاد أولاده الذكور خاصة ، ولا يدخل أولاد البنات عدا أولاد السيدة فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها ـ بدليل قوله ﷺ : « إنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ »، [أخرجه البخاري] .

(صحبه) : اسم جمع ، والصحابي هو مَن اجتمع مؤمنًا بالنبي ﷺ حيًّا ومات مسلمًا .

وعددهم مائة وعشرون ألفًا ، أو مائة وأربعة وعشرون ألفًا ، وأول الصحابة من الرجال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وأول الصحابة من الصبية الصغار سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكلهم عدول محفوظون نترضى عنهم ونصلِّي عليهم تبعًا للصلاة على رسول الله ﷺ ، وكل ما وقع بينهم من خلاف يحمل على محمل حسن ، وليس لنا أن نقدح فيهم ، فقد قال ﷺ : « اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي ، اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي ، لا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ ، وَمَنْ آذَى اللهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ »، [مسند أحمد ، وسنن الترمذي].

(الأطهار):جمع طاهر وهم المطهرون من الأدناس والذنوب والمعاصي .

فائدة : الصحابة غير معصومين لكنهم محفوظون، فالعصمة من ارتكاب المعاصي والكبائر للأنبياء فقط ، أما الصحابة تلاميذ الرسول ﷺ فإن الله يحفظهم من فعلها ، وهم أقرب الناس اتباعًا للسُّنة ، وما يصدر منهم من عيبٍ يستر ، وعداؤهم مرفوض ، والترضي عنهم أدب .

(لاسيَّما) : هو أسلوب حصر وتخصيص ، ومعناه : خصوصًا ، وبالأخص.

(رفيقه) : المراد أبو بكر رضي الله عنه ، واسمه : عبد الله بن أبي قحافة ، وأمه : أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر ، ولد بمكة بعد عام الفيل بثلاثة أعوام ، وقد اجتمعت له صفات حميدة في الجاهلية والإسلام ، وشهد الغزوات مع رسول الله ﷺ ، وهو أول من تَنْشَق عنه الأرض بعد الرسل والأنبياء ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة وممن يدخلون الجنة من غير حساب ، وأول خليفة للمسلمين ويكفيه شرفًا أنه أبو السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ زوجة النبي ﷺ ، وهو جامع القرآن الكريم في مصحف واحد ، ومحارب المرتدين ، والمجاهد في سبيل الله تعالى .

توفي رضي الله عنه بالمدينة المنورة سنة (١٣هـ) ، وعمره (٦٣) عامًا ، ودفن بجوار رسول الله ﷺ وكتفه عند قدم رسول الله ﷺ .

(في الغار) : المراد غار ثور ، وهو ثقب في سَفْحِ الجبل دخله رسـول الله ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه أثناء الهجرة على مسيرة ساعة من مكة المكرمة ، وقد صحب أبو بكر رضي الله عنه رسول الله ﷺ في رحلة الهجرة ، حيث خرج معه في يوم الاثنين الرابع من ربيع الأول ، قال تعالى : ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ

﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة:٤٠) ، ووصل إلى المدينة المنورة الاثنين الثاني عشر من نفس الشهر .

٥- وهــــذهِ عَقيـــدَةٌ سَــنِيَّهْ سَــمَّيْتُها الخَريــدَةَ البَهِيَّــهْ

(عقيدة) : العقيدة ، هي : ما يؤمن بها المكلف (إنس وجن) إيمانًا جازمًا مطابقًا للواقع ناشئًا عن دليل لا ظنَّ فيه ولا شك ولا وهم .

والعقيدة تشمل الأمور التي يجب أن يؤمن بها المسلم بقلبه ، فهي الجانب النظري أو الفكري من الإسلام .

والعقيدة أصول ثابتة لم تتغير خلال الرسالات السَّماوية عبر تاريخ البشريَّة ، فقد كان كل رسول يقول لقومه : ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ (الأعراف:٥٩) .

وقال تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء:٢٥) [١] .

(سنية) : السَّنا هو النور ؛ والسَّناء هو العلو والرفعة ، حيث تنور قلب وعقل قارئها .

(سميتها) : جعلت اسمها . **(الخريدة)** : هي الجوهرة غير المثقوبة . **(البهية)** : البهاء هو الجمال .

وقد جعل الله تعالى لهذه المنظومة حظًا من اسمها ، فهي جوهرة العلوم ونور وضياء لقارئها ودارسها في صورة سهلة مختصرة شاملة لفروع علم العقيدة ، حيث تزيح ظلمة الكفر والجهل عن المكلف ، وتأتي بنور الإيمان والعلم والتوحيد والعقيدة الصحيحة الموافقة لأهل السنة والجماعة .

(١) عقيدتنا ، د. محمد ربيع محمد جوهري .

٦- لَطيفَـــةٌ صَـــغيرَةٌ في الحَجْـــمِ   لكِنَّهـــا كَـــبيرَةٌ في العِلْـــمِ

(لطيفة) : اللطيف الدقيق الصغير ، وضدها الكثيف الكبير .

(في الحجم) : مقارنة بغيرها من المنظومات .   (كبيرة) : عظيمة النفع .

(العلم) : ضد الجهل ، أو معرفة الشيء على ما هو عليه .

وهذا ترغيب في دراستها وقراءتها حيث العلم الغزير ، واللفظ السهل مع الاختصار في الألفاظ دون المعنى ، واشتمالها على الأدلة المثبتة لوجود الله تعالى وردِّ شبه المغرضين والجاحدين ، وختمها بدروس في علم الأخلاق النبوية والسلوكيات الإنسانية المتأسية بسيد البرية ﷺ .

فائدة : قال أبو إسحاق الإسفراييني - رحمه الله - : جميع ما قاله المتكلمون في التوحيد قد جمعه أهل الحقيقة في كلمتين :

الأولى : اعتقاد أن كل ما تصور في الأوهام فالله بخلافه .

والثانية : اعتقاد أن ذاته تعالى ليست مشابهة للذوات ،ولا معطلة عن الصفات .

٧- تَكْفيكَ عِلْمًا إِنْ تُرِدْ أَنْ تَكْتَفـــي   لأَنَّهـــا بِزُبْـــدَةِ الفَـــنِّ تَفـــي

(تكفيك) : لمن أراد الكفاية من غير أهل التخصص ، وهي بداية لكل مَنْ أراد التعمق في هذا العلم . (زبدة) : خلاصة .   (الفن) : العلم ، والمراد : علم العقيدة الإسلامية .

(تفي) : تكفي لاشتمالها على جميع أقسام ومباحث العلم .

فهذه العقيدة بداية للمبتدئ ، ومراجعة للمنتهى .

وهذا واجب العالم في كل عصر أن يفكر فيما يخدم دينه وقومه إما عن طريق الشرح أو الاختصار أو دفع الشُّبَه ، وما من عصر من العصور إلا وله رجاله الذين يقومون بحمل الأمانة وتبليغ الرسالة .

٨- واللهَ أَرْجـــو في قَبـــولِ العَمَـــلِ والنَّفـــعِ مِنْهـــا ثُـــمَّ غَفْـــرَ الزَّلَـــلِ

(والله أرجو) : تقديم المفعول على الفعل أسلوب حصر وقصر وتخصيص، فهو لا يطلب إلا من الله تعالى النَّافع الضار الذي بيده مقاليد كل شيء ، من رجاه لا يخيب .

(في قبول العمل) : رضا الله به .

(والنَّفع) : الفائدة المرجوَّة من التأليف حيث ينتفع بهذه المنظومة القارئ والدارس . (غفر) : محو .

(الزلل) : النقص والهفوات والذنوب والمعاصي .

فالكمال لله وحده ، والكمال البشري لرسول الله ﷺ ، وما من عمل إلا وفيه نقص ، وأهل العرفان يسترون العيوب ، واصحاب النفوس الضعيفة يظهرون عيوب الناس .

وهذا استئذان من الناظم حيث انتهى من المقدمة وسوف يشرع في الموضوع ، واستئذانه الدعاء إلى مولاه تعالى ، وهذا من عادة العلماء الأكابر في تأليفهم .

فائدة : اشتملت المقدمة على :

١- التقديم الحقيقي (البسملة) .

٢- التقديم الإضافي (الحَمْدَلَة) .

٣- الصلاة على النبي ﷺ وآله ، والترضي عن الصحابة .

٤- اسم المؤَلِّف (أحمد الدردير) ـ رحمه الله ـ .

٥- اسم المؤَلَّف (الخريدة البهية) .

٦- الغرض من التأليف (الاختصار . سهولة العبارة . جمع مباحث العلم) .

٧- الاستئذان (الدعاء قبل الشروع في العمل) .

* * *

الإلهيات

وهي تشمل وجود الله تعالى ، وصفاته ، وأسماءه .

٩- أَقْسَامُ حُكْمِ العَقْـلِ لا مَحَالَـهْ ... هِـيَ الوُجُـوبُ ثُـمَّ الاسْـتِحَالَهْ

(أقسام) : جمع قِسْم ، وهو ما تفرع عنه ، ويسمّى القِسْمُ : جزءًا .

(حكم العقل) : الحكم العقلي : هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه عن طريق العقل ، كالواحد نصف الاثنين .

العقل : هو سرٌّ رُوحاني تُدْرِكُ به النفسُ العلومَ الضرورية والنظرية ، ومحلُّه : الجوارح ، ونوره يسطع في الدماغ ، وابتداؤه من حين نفخ الروح في الجنين ، وأول كماله : البلوغ .

وقيل : قوةٌ للنفس مُعَدَّة لاكتساب الآراء - أي : الاعتقادات - .

فائدة : سمي العقل بذلك ؛ لأنه يَعْقِلُ ويَمْنَعُ صاحبَه عما لا يليق به .

(لا محالة) : لا يوجد غير هذا التقسيم . فالوجوب العقلي : وهو ما لا يقبل الانتفاء لذاته ، كوحدانية الله تعالى ، وهي صفة يجب على المكلَّف أن يعتقدها لخالقه .

- وينقسم الواجب العقلي إلى قسمين :

أ- بدهي : كوجوب تقديم الأب على الابن في الوجود .

ب - نظري : كصفات الله تعالى .

ومعنى البدهي أي لا يحتاج إلى نظر واستدلال ، ومعنى نظري أي يحتاج إلى إعمال النظر والبحث في الأدلة .

(ثم الاستحالة) : أي «المستحيل العقلي» وهو ما لا يقبل الثبوت ، كالعجز فيستحيل على الله تعالى أن يوصف به ؛ لأنه نقص ومَن وصفه بذلك خرج عن دين الإسلام .

- **وينقسم المستحيل العقلي إلى قسمين :**

أ- بدهي : كتقدم الابن على أبيه في الوجود .

ب ـ نظري : كإثبات الشريك لله .

فائدة : الحكم إما عقلي أو شرعي أو عادي .

وأقسام الحكم العقلي : الوجوب ، والاستحالة ، والجواز .

فائدة : الحكم الشرعي : هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين على جهة الاقتضاء أو التخيير أو الوضع .

وأقسام الحكم الشرعي (الحكم الشرعي التكليفي ، والحكم الشرعي الوضعي) .

أ- أقسام الحكم التكليفي : الوجوب ، والاستحباب ، والجواز ، والكراهة ، والتحريم .

ب ـ أقسام الحكم الوضعي : السبب ، والشرط ، والمانع .

والحكم العادي : وهو إثبات أمر لأمرٍ أو نفيه عنه عن طريق العادة والتكرار .

١٠- ثُمَّ الجَوازُ ثالِثُ الأقْسَامِ   فافْهَمْ مُنِحْتَ لَذَّةَ الأفْهامِ

الجواز العقلي : هو قبول الثبوت والانتفاء ، كأن يخلق الله تعالى شيئًا أو يعدمه .

- وينقسم الجائز العقلي (الممكن) إلى قسمين :

١- بدهي : كوجود الشخص المتكلِّم في موضع كلامه الآن .

٢- نظري : كتعذيب المطيع وإثابة العاصي .

(فافهم) : فعل أمر ، جعله يفهم .   (منحت) : المنح هو العطاء بلا مقابل.

(لذَّة) : حلاوة وهي معنوية وحسية ، فمن رزق الفهم أحسَّ بحلاوة ذلك ؛ كما أنه يبدو على الفاهم مظاهر السعادة والمتعة بما قرأ وفهم .

(الأفهام) : جمع فهم ، والفهم هو الإدراك ، والمقصود إدراك العلوم والمعارف المتعلقة بمعرفة الله وأنبيائه .

- اعتراض على تقسيم الحكم العقلي :

تقسيم الحكم العقلي إلى الوجوب والاستحالة والجواز لا يصح لأنها ليست أجزاء للحكم العقلي فكيف يصح تحليله إليها ؟

والجواب : إن في عبارتهم هذه مسامحة ، والمراد أن كل ما حكم به العقل من إثبات أو نفي لا يخرج عن اتصافه بواحد من هذه الثلاثة ، فلما كان لا يخرج عن اتصافه بها جعلوها أقسامًا تجوُّزًا[1] .

١١- وواجِبٌ شَرْعًا على المُكَلَّـفِ   مَعرِفَـةُ اللهِ العَلـيِّ فـاعْرِفِ

(وواجب شرعًا) : المراد الوجوب الشرعي التكليفي : وهو ما يثاب فاعله، ويعاقب تاركه ، كوجوب الصلاة ، وصوم رمضان .

فائدة : معرفة الله تعالى شرعًا وعند المعتزلة عقلاً .

---

(١) شرح الخريدة البهية للإمام الدردير ، (ص ٣٣، ٣٤) ، ط . دار البيروني (٢٠٠٤م) .

ومعرفة الله تؤدي إلى التفكير والتدبُّر والتأمُّل في هذا الكون عن طريق العقل السليم ، إذ العقل وظيفته التأمُّل والنَّظَر والتفكير فيما حوله من مخلوقات .

فائدة : العقل كالأساس ، والشرع كالبناء ، ولن يغني أساس ما لم يكن بناء ، ولن يثبت بناء ما لم يكن أساس ؛ والعقل رسول من الباطن ، والشرع رسول من الظاهر .

(المكلَّف) : هو البالغ ، العاقل ، سليم الحواس ، الذي وصلته الدعوة الصحيحة ، وهم : الإنس والجن ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾ (الإسراء:١٥) ، ومن لم تبلغه الدعوة كأهل الفترة الكائنين بين نبيين بحيث لم تبلغهم رسالة الأول ولا الثاني ، لا تجب عليهم المعرفة .

فائدة : أهل الفترة هم من كانوا بين أزمنة الرسل ، أو في زمن لم يرسل إليهم رسول ، فحكمهم أنهم ناجون ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾ (الإسراء:١٥) .

(معرفة الله) : المعرفة هي الإدراك الجازم المطابق للواقع عن دليل من غير ظن أو شك أو وَهْم . قال تعالى : ﴿ **فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ** ﴾ (محمد:١٩) .

والمعرفة الواجبة شرعًا هي معرفة صفاته وأسمائه تعالى ، لا معرفة ذاته ؛ لأن ذلك محال .

ومعرفة الله تعالى أول الواجبات على المكلَّف ، وهي أعظم المعارف وأجلها ، إذ هي الأساس الذي تبنى عليه الحياة الروحية الصحيحة كلها .

فائدة : معرفة الله تعالى تبدأ بالعقل . لأنه مناط التكليف . الذي يدرك أن للكون خالقًا مبدعًا حكيمًا ، أعطى كل شيء خلقه ثمَّ هدى ، وتأتي الخطوة الثانية وهي تصديق النبي ﷺ عن طريق العقل ، بما يقدمه النبي من دلائل نبوية ، وما يقع على يديه من المعجزات فإذا استقر العقل على الإيمان بالله ، والتصديق بالرسول ، وجب التسليم بعد ذلك بما يخبر به الرسول ، وما يأمر به ، وما ينهى عنه[١].

ومعرفة الله تستلزم إجادة الفكرة ، وسلامة النظرة[٢].

فائدة : وسائل المعرفة :

أ- العقل .

ب ـ الحواس الخمس (التذوق والشم والإبصار والسمع واللمس) .

ت ـ الوحي (القرآن الكريم والسُّنة النبوية المطهرة) .

فرع : حكم إيمان المقلد على آراء :

١- عدم صحة إيمان المقلد ، فيكون المقلد كافراً .

٢- الاكتفاء بالتقليد مع العصيان . إن كان فيه أهلية للنظر . وإلا فلا عصيان وهو الراجح .

والمراد بالنظر : النظر الموصل لمعرفة الله تعالى ، ومعرفة الرسل عليهم الصلاة والسلام .

٣- إن مَنْ قلد القرآن والسُّنة القطعية صحَّ إيمانه لاتباعه القطعي ، ومَنْ قلَّد غير ذلك لم يصح إيمانه ؛ لعدم أمن الخطأ على غير المعصوم .

---

(١) فتاوى العقيدة الإسلامية ، د. المسير ، (ص ٢٧٤) ، ط. مكتبة الإيمان . القاهرة .

(٢) الجوهرة في قواعد العقائد ، طاهر الجزائري ، (ص ١٢٦) ، ط. دار القلم .

٤- الاكتفاء به من غير عصيان مطلقًا ؛ لأن النظر شرط كمال ، فمن كان فيه أهلية النظر ولم ينظر ، فقد ترك الأولى .

(العلي) : منزلة ومكانة .

(فاعرف): أيها المكلَّف ما يجب عليك معرفته وما يجوز وما يستحيل .

فائدة : التقليد هو اتِّباع الغير فيما يعتقد من غير معرفة بالدليل الذي استدلَّ به ، أما إذا عَرف الدليل واقتنع به فليس مقلدًا ، ومَن وافق غيره في اعتقاده بناءً على دليلٍ خاصٍّ استنبطه ليس مقلدًا .

فائدة : قال أبو منصور الماتريدي ـ رحمه الله ـ : «أجمع أصحابنا على أن العوام مؤمنون عارفون بربهم ، وأنهم حشو الجنة كما جاءت الأخبار . وانعقد به الإجماع ، فإن فطرتهم جُبلت على توحيد الصانع وقدمه وحدوث ما سواه ، وإن عجزوا عن التعبير عنه باصطلاح المتكلمين والله أعلم» .

١٢- أَيْ يَعرِفُ الواجِبَ والمُحَـالا مَـعْ جَـائِزٍ في حَقِّـهِ تَعَـالى

(أي) : تفسيرية وبيان لما قبلها .

يجب لله تعالى إجمالاً كل كمال يليق بذاته تعالى ، ويستحيل على الله تعالى إجمالاً كل نقص لا يليق به تعالى .

(الواجب والمحالا مع جائز) : فمن الواجب على المكلَّف معرفة عشرين صفة على التفصيل وهي : (الوجود والقِدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث ، والقيام بالنفس ، والوحدانية ، والحياة ، والعلم ، والإرادة ، والقدرة ، والسَّمع، والبصر ، والكلام ، وكونه حيًّا ، وكونه عالمًا ، وكونه مريدًا ، وكونه قادرًا ، وكونه سميعًا ، وكونه بصيرًا ، وكونه متكلمًا) ، وضدُّ

هذه الصفات عشرون أيضًا ، وهي المحال تفصيلاً ، والجائز في حقه تعالى واحدة ، وسيأتي بيان ذلك لاحقًا إن شاء الله تعالى .

هذا مما يجب لله تعالى تفصيلاً ومما يستحيل على الله تعالى تفصيلاً .

١٣- ومِثْلُ ذا في حَقِّ رُسْلِ اللهِ عَلَيهِمُ تحيَّةُ الإلهِ

يجب للرسل إجمالاً كلُّ كمالٍ بشري ، ويستحيل في حقِّ الرُّسل إجمالاً كلُّ نقصٍ بشريٍّ .

(ومثل ذا في حق رسل الله) : أي يجب على المكلَّف معرفة الصفات الواجبة في حقِّ الرسل والمستحيلة والجائزة ، فأربع صفات تجب للرسل تفصيلاً ، والمستحيل تفصيلاً ضدها ، وواحدة تجوز ، فالمجموع للكل إلهيات ونبوات خمسون صفة تفصيلية .

(تحية) : سلام . (الإله) : الله تعالى .

١٤- فالواجبُ العقليُّ ما لم يَقبَلِ الانتِفا في ذاتِه فابتَهِلِ

(فالواجب العقلي) : هو ما لا يتصور في العقل عدمه ، وهو وجود الله - ﷻ - .

فائدة : أقسام الواجب : ضروري ، ونظري .

الواجب الضروري : ما يثبت بداهة من غير نظر أو استدلال ، كالسماء فوقنا ، والأرض تحتنا ، فهذه أمور لا تحتاج إلى إعمال نظر .

والواجب النظري : ما يجزم العقل بثبوته عن طريق النظر والاستدلال ، كإثبات وجود الخالق - ﷻ - عن طريق النظر في الأدلة الكونية .

(ذاته) : نفس الشيء لا شيء آخر . (فابتهل) : تضرع إلى الله تعالى بالدعاء .

١٥- والمُسْتَحيلُ كلُّ ما لم يَقْبَلِ في ذاتِه الثُّبوتَ ضِدُّ الأوَّلِ

(المستحيل) : هو ما لا يتصور في العقل وجوده ، وهو ضدُّ الواجب العقلي ، كوجود شريك لله تعالى ، وكوجود الله في مكان . (ضد) : مقابل .

١٦- وكُلُّ أَمْرٍ قَابِلٍ للانْتِفا وللثُّبوتِ جائِزٌ بلا خَفَا

الجائز : ما يقبل الثبوت والانتفاء لذاته ، مثل : الإيجاد والإعدام .

(خفا) : الخفاء هو الغموض أو اللُّبس ، فالأمر واضح .

وبهذا يكون المصنف ـ رحمه الله ـ أتى بتعريفات أقسام الحكم العقلي الثلاثة .

١٧- ثُمَّ اعْلَمَنْ بأنَّ هذا العالَما أيْ ما سِوَى اللهِ العَليِّ العالِما

(ثم اعلمن) : بنون التوكيد الخفيفة ، وهي كلمة للتنبيه لا يأتي بعدها إلا أمر مهم .

(العالما) : العالم هو كلُّ ما سوى الله تعالى ، أو هو من عرشه لفرشه (مصطلح يدلُّ على جميع المخلوقات دون استثناء) .

فائدة : سُمِّي العالم عالَمًا ؛ لأنه علامةٌ ودليلٌ على وجوده سبحانه وتعالى .

الدليل العقلي على وجود الله تعالى : وهو العالم ، فالكون وما فيه من عالم شاهدٌ ودالٌّ على وجود خالقه وصانعه ومبدعه ومحكمه وهو الله تعالى.

١٨- مِن غيرِ شَكٍّ حَادِثٌ مُفْتَقِرُ لأنَّه قَامَ بِه التَغَيُّرُ

(من غير شك) : الشك هو التردد واستواء الأمرين والتردد بينهما .

(حادث) : أي العالم مخلوق وُجِدَ بعد العدم ؛ فالأعراض شُوهِد تغيُّرها من عدم إلى وجود ، وعكسه وكل ما هو كذلك فهو حادث ، وكذلك العالم لا يخلو عن الحوادث ، فهو حادث .

(مفتقر) : أي محتاج إلى غيره فالله تعالى يغيِّر في العالم كيف يشاء .

(قام به التغير) : فالعالم متغير وكل متغير حادث ينتج عنه أن العالم حادث ، فهو يتغير من حركة إلى سكون ، ومن نور إلى ظلمة ، وهذا التغيُّر دليلٌ على المغيِّر وهو الله تعالى .

وحيث إن العالم لا يتصور وجوده من غير خالق ، فالعالم عاجز عن خلق نفسه ، فكيف يُوجِد غيره ، ففاقد الشيء لا يعطيه ، والعجز على الله تعالى محال .

١٩- حُدوثُهُ وجُودُه بعدَ العَدَمْ وضِدُّهُ هو المُسَمَّى بالقِدَمْ

(حدوثه) : أي وجود العالم بعد العدم أي الفناء . (وضده) : مقابل الحدوث (المسمى بالقِدَم) : وهو عدم الأولية .

دليل الحدوث للعالم : التغير وهذا التغير مشاهدٌ ومستدلٌّ عليه ، والعالم قائم بالأعراض ، والأعراض حادثة ، فكيف للحادث الذي له مُحْدث أن يكون قديمًا .

فائدة : معنى الحادث : ما كان معدومًا ثم صار موجودًا ، ووجوده بعد عدمه ممكن ليس بواجب ولا مستحيل ، لأن الواجب لا يكون معدومًا أصلاً ، والمستحيل لا يوجد أبدًا ، وما دام وجوده ممكنًا فإنه يفتقر إلى مُرَجِّح يرجحه مع استمرار العدم ، وقد وجد العالم فعلاً ، فثبت وجود المرجِّح وهو الخالق سبحانه وتعالى .

٢٠- فاعْلَمْ بأنَّ الوَصفَ بالوُجُودِ مِنْ واجِباتِ الواحِدِ المعْبُودِ

(فاعلم) : فاعتقد . (بأن الوصف بالوجود) : وهو عين الموجود .

قال تعالى : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

(إبراهيم: ١٠) .

(من واجبات الواحد المعبود) : من الصفات الواجبة على المكلَّف الإيمان بها بأن يصف مولاه تعالى بالوجود ، فإن لم يكن الإله موجودًا فمن أوجد هذا العالم المحكم التنظيم المتقن الصنعة ؟ قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

(آل عمران: ١٩٠).

٢١- إذْ ظَاهِرٌ بأنَّ كُلَّ أَثَرِ .يَهْدي إلى مُؤثِّرٍ فاعْتَبِرِ

(إذ ظاهر):واضح لكلِّ ناظرٍ ومتأمِّلٍ . (بأن كل أثر):حادث أو مخلوق .

(يهدي) : يرشد ، يدل على . (مؤثِّر) : خالقه وصانعه وموجده ، وهو الله تعالى .

(فاعتبر) : فافهم ، فخالق الكون وما فيه لابد أن يكون موجودًا .

سُئل أعرابي كيف يستدلُّ على الله فقال : «البعرة تدل على البعير ، والأثر يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ، ألا تدل على العليم الخبير؟» .

٢٢- وذِي تُسمَّى صِفةً نَفسيَّهْ ثُمَّ تليها خَمْسَةٌ سَلْبِيَّهْ

(وذي) : هذه . تسمى صفة نفسية ، أي صفة الوجود صفة نفسية لأنها تدلُّ على الذات دون معنى زائد عليها ، وهذه الصفة تدلُّ على مجرد الذات وضدها يسمى العدم ، ومعنى العدم أي لا وجود له .

وتعريف الوجود : هو صفةٌ نفسيةٌ قائمةٌ بذاته تعالى لا تقبل الانتفاء أزلاً، فلا يمكن عدمه ، أي أنه تعالى موجود ، وأن وجوده بذاته تعالى ، وليس بواسطة شيء ، ووجوده تعالى غير مرتبط بصفة أخرى واجبة لله تعالى.

- الدليل النقلي على صفة الوجود : قال تعالى : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (إبراهيم: ١٠) .

- الدليل العقلي : قد سبق بيان الدليل العقلي على ذلك ، وهو العالم الذي نعيش فيه ؛ حيث إنَّه علامةٌ على خالقه ، والعالم وما فيه من إحكام لقوانين ونظام بديع لا شك أنه يدلُّ على الله تعالى الذي صنعه وأبدعه فثبت لله تعالى الوجود .

وقد خاطب القرآن العقل حيث قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (الغاشية:١٧-٢٠) ويسمى هذا دليل الإبداع .

وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝٦١ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (الفرقان:٦١-٦٢) . ويسمى هذا دليل العناية .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (فاطر:٤١) . ويسمى هذا دليل الحركة .

وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (الأنعام:٩١) .

فائدة : سئل الإمام الشافعي ﷺ عن وجود الخالق ﷻ ، فقال : « هذا ورق التوت طعمه واحد ، تأكله الدود فيخرج منه الإبْرَيْسَم (الحرير) ، وتأكله النحل فيخرج منه العسل ، وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقيه بعرًا وروثًا ، وتأكله الظباء فيخرج منه المسك ، وهو شيءٌ واحدٌ» اهـ.[1]

- كان الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ سيفًا على الدهرية ، وكانوا ينتهزون الفرصة ليقتلوه فبينما هو يومًا في مسجده قاعد إذ هجم عليه جماعة بسيوف مسلولة وهَمُّوا بقتله فقال لهم : أجيبوني عن مسألة ثم افعلوا ما شئتم ، فقالوا له : هات ، فقال : ما تقولون في رجل يقول لكم إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال مملوءة من الأثقال قد احتوشها في لجّة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة وهي من بينها تجري مستوية ليس لها ملاّح يجريها ولا متعهد يدفعها هل يجوز ذلك في العقل ؟ قالوا : لا ، هذا شيء لا يقبله العقل ؟

فقال الإمام أبو حنيفة : يا سبحان الله إذا لم يجز في العقل سفينة تجري في البحر مستوية من غير متعهد ولا مجرى فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها وسعة أطرافها وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ ؟ فبكوا جميعًا وقالوا : صدقت وأغمدوا سيوفهم وتابوا[2].

- **حكاية :**

يروى أن بعض الزنادقة أنكر الصانع عند جعفر الصادق ﷺ ، فقال جعفر ﷺ : هل ركبت البحر ؟ قال : نعم . قال : هل رأيت أهواله ؟ قال :

---

(١) تفسير ابن كثير (١/١٩٧) .

(٢) تفسير الرازي : أنوار البروق في أنواع الفروق .

بلى ؛ هاجت يومًا رياح هائلة فكسرت السفن وغرقت الملاحين ، فتعلّقت أنا ببعض ألواحها ثم ذهب عني ذلك اللوح فإذا أنا مدفوع في تلاطم الأمواج حتى دفعت إلى الساحل ، فقال جعفر ﷺ : قد كان اعتمادك من قبل على السفينة والملاح ثم على اللوح حتى تنجيك ، فلما ذهبت هذه الأشياء عنك هل أسلمت نفسك للهلاك أم كنت ترجو السلامة بعد ؟ قال : بل رجوت السلامة ، قال ﷺ : ممن كنت ترجوها ؟ فسكت الرجل ، فقال جعفر ﷺ : إن الصانع هو الذي كنت ترجوه في ذلك الوقت ، وهو الذي أنجاك من الغرق فأسلم الرجل على يده .[١]

فوجود الله تعالى تشهد به الفطرة السليمة والعقول الإنسانية ، وقد أقام علماء الإسلام الأدلة الكثيرة المتنوعة على أن وجود الله حقيقة لا شك في أمرها ولا مجال لإنكارها .[٢]

فائدة :« وجود الله ﷻ ممتد في القدم ، بحيث لا يتصور قبله وجود قط ، وما دام كل موجود قد نشأ عنه ، فالله تعالى أسبق منه ، ونحن لا نعرف عن الأول شيئًا ، إذ عَهْدُنا بالوجود قد حدث بعد ميلادنا » .

(ثم تليها) : بعدها . (خمسة سلبية) : خمس صفات سلبية أي تسلب عن أذهاننا اعتقادًا باطلاً في حق الله تعالى فمدلول كل واحدة منها سَلَبَ أمرًا لا يليق به تعالى وهذه الصفات الخمسة : « القِدَم ، والبقاء ، والقيام بالنفس ، والمخالفة للحوادث ، والوحدانية » .

هذا ما جرى عليه الجمهور ، وقيل : إنما اقتصر على هذه الخمسة لأنها أمهاتها .

---

(١) تفسير الرازي ، أنوار البروق في أنواع الفروق .
(٢) عقيدة المسلم ، محمد الغزالي (ص ٣١) ، ط. نهضة مصر .

وضدها (الحدوث ، والفناء ، والموافقة للحوادث ، والافتقار للغير ، والشريك) وكل هذه الصفات محالةٌ عليه تعالى لما يترتب من نقص صاحبها.

٢٣- وهي القِدَمْ بالذاتِ فاعْلَمْ والبَقَا   قِيامُـــهُ بِنَفْسِــهِ نِلْـــتَ التُّقَـــى

(وهي القِدَم بالذات) : صفة القِدم معناها عدم الأولية لوجوده تعالى، فلا يسبق وجوده أحد ولا لوجوده علة أو سبب وضدها الحدوث .

الدليل النقلي : قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الحديد:٣) ، وقال ﷺ : « كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيءٌ غَيْرُهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيءٍ ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ» [رواه البخاري] .

الدليل العقلي : وجود الله تعالى غير مسبوق بعدم ؛ لأنه غير حادث ؛ إذ لو كان قبل وجوده معدومًا لاحتاج إلى مُوجد واحتاج موجده إلى موجد... وهكذا إلى ما لا نهاية له ، وهذا مستحيل ، فثبت لله تعالى القِدم ، وضد القِدم الحدوث .

(فاعلم) : افهم . (والبقا) : البقاء معناه عدم الانقضاء لوجوده تعالى ، أي أنه تعالى لا آخر لوجوده ولا يطرأ عليه الفناء سبحانه .

الدليل النقلي : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن:٢٦-٢٧) .

الدليل العقلي : كل شيء ثبت له القِدم فلا بد أن يثبت له البقاء ، ولو جاز عليه العدم لكان وجوده جائزًا فيكون حادثًا وهو محال عليه تعالى ،

ولو كان حادثًا لما ثبت له القِدم فثبت لله تعالى البقاء فسبحانه أولٌ بلا ابتداء، وآخرٌ بلا فناء ، وضد البقاء الفناء وهو محال عليه تعالى .

فائدة : اتفق العقلاء على أن كلَّ ما ثبت قِدمه استحال عدمه .

(قيامه بنفسه) : القيام بالنفس هو عدم الافتقار إلى محل (ذات) يقوم به وعدم الافتقار إلى موجد وضدهِ الاحتياج للغير .

الدليل النقلي: قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ (آل عمران:٢).

الدليل العقلي : سبحانه لو لم يكن موصوفًا بهذه الصفة لكان محتاجًا لغيره والاحتياج نقص وهو محال عليه تعالى فثبت له القيام بالنفس .

فائدة : يجوز إطلاق النفس عليه تعالى ولو من غير مشاكلة ، كما في قوله تعالى : ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ (الأنعام:١٢) .

فائدة : ثبت أن الله تعالى لا يحتاج إلى محل ، فوجب أن يكون تعالى ذاتًا لا صفةً ، وبعدم احتياجه إلى المرجع يجب أن يكون قديمًا لا حادثًا.

فائدة : من اعتقد أن الله تعالى يحلُّ في شيءٍ فهو كافرٌ إجماعًا ، ومثل الحلول الاتحاد؛ لأنه يصف مولاه تعالى بالاحتياج لهذا المحل ، وهو المستحيل .

(نلت) : حصلت وأدركت .

(التقى) : أي الخوف من الله تعالى ، والتقوى لغة : الاتقاء ، أي اتخاذ الوقاية .

واصطلاحًا : امتثال المأمورات فعلاً والمنهيات تركًا .

قال الإمام علي رضي الله عنه : « التقوى هي الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل » .

٢٤- مُخـالِفٌ للغَـيرِ وَحْدَانِيَّـهْ   في الـذَّاتِ أو صِـفَاتِهِ العليَّـهْ

(مخالف للغير) : المخالفة للحوادث وهي عدم موافقته تعالى لشيء من الخلق ذاتًا أو صفاتٍ أو أفعالاً ، وضدها الموافق للحوادث .

الدليل النقلي : قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى:١١) .

قال تاج الدين السبكي : « فإن الله موجود قبل الخلق ، ليس له قبل ولا بعد ، ولا فوق ولا تحت ، ولا يمين ولا شمال ، ولا أمام ولا خلف ، ولا كل ولا بعض ، ولا يقال : متى كان ؟ ولا أين كان ؟ ولا كيف كان ؟ ولا مكان ، كون الأكوان ، ودَبْر الزمان ، لا يتقيد بالزمان ، ولا يتخصص بالمكان ، ولا يشغله شأن عن شأن ، ولا يلحقه وهم ، ولا يكتنفه عقل ، ولا يتخصَّص بالذهن ، ولا يتمثل في النفس ، ولا يتصور في الوهم ، ولا يتكيف في العقل ، لا تلحقه الأوهام والأفكار ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى:١١) هذا آخر العقيدة ، وليس فيها ما ينكره سني »[1].

فسبحانه لا نظير له ولا شبيه له ولا مماثل له ، وكل ما خطر ببالك فالله تعالى مخالفٌ لذلك ، والمماثلة نقصٌ وتَشَبُّهٌ بالخلق وهو محال على الله تعالى ، وضدها الموافقة للخلق .

(١) طبقات الشافعية الكبرى ، السبكي (ص ٣٣٦) .

الدليل العقلي : أنه تعالى لو لم يكن مخالفًا للحوادث لكان مماثلاً لها ، ولو كان مماثلاً لكان حادثًا مثلها ، ولو كان حادثًا لما ثبت قِدمه ، ولكن ثبت قِدمه تعالى فاستحال حدوثه ، فاستحال ما أدى إليه وهو مماثلته للحوادث فثبت لله تعالى نقيضه وهو كونه تعالى مخالفًا للحوادث ، والمخلوق ناقص والخالق كامل ؛ أن يكون هناك تباين وتغاير بين الخالق والمخلوق[1].

فائدة : النظير هو من يوافق في وجه من الوجوه ، والشبيه هو من يوافق في معظم الوجوه ، والمثيل هو من يوافق في كل الوجوه .

فائدة : معرفة الإنسان لله لا تكون إلا على مقدار معرفته بنفسه ، ولذلك لم يكلَّف بما فوق ذلك ، وإن كلف أن يعرف أن صفات الحق سبحانه لا تشابه صفات خلقه .

ليس للفكر مجال في ذات الحق سبحانه وتعالى لا عقلاً ولا شرعًا[2].

قيل للإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ : «بم عرفت ربك؟ ، فقال : عرفته بما عرفني به نفسه ، لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالقياس ، ولا يشبّه بالنّاس ، قريب في بعده ، بعيد في قربه ، فوق كلِّ شيء ولايقال تحت شيء ، وأمام كل شيء ولا يقال أمامه شيء» .

فائدة : كل نص ورد في القرآن أو السنة ظاهره يدل على المماثلة أو المشابهة ؛ فإما أن تفوض المعنى إلى الله تعالى مع الإيمان بكل ما ورد، أو تؤوِّل هذه النصوص ، وكلاهما . مذهب الأشاعرة . بمعنى يليق به

(١) شرح القصيدة القيشرية ، د. حمزة البكري (ص٥٥) ط. دار الفتح .

(٢) جواهر في قواعد العقائد ، (ص ١٢٩ ، ١٣٠) .

تعالى ، كقوله تعالى : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الفتح:١٠)، فيستحيل حمل النص على ظاهره وهو أن له تعالى يدًا كما يتصور من مماثلة أو مشابهة للخلق ، وتشبيه الخالق تعالى بأنه جسم ، بل المراد القدرة وهو معنى يليق به تعالى ، وكلا القولين ينزه الله تعالى عن المماثلة لخلقه .

قال الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ : « الآيات المتشابهات خزائن مُقفلة حلها تلاوتها »[1].

وقال الإمام الجنيد ـ رحمه الله ـ « لا يعرف الله إلا الله ».

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : « آمنت بالله ، وبما جاء عن الله على مراد الله ، وآمنت برسول الله ، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ ».

فائدة : المماثلة التي ينزه عنها المولى عز وجل عشرة أنواع :

الأول : أن يكون جرمًا .　　الثاني : أن يكون عرضًا يقوم بالجرم.

الثالث : أن يكون في جهة .　　الرابع : أن يكون له هو جهة .

الخامس : أن يكون في مكان .　　السادس : أن يكون في زمان .

السابع : أن يكون محلاً للحوادث.　　الثامن : أن يكون متصفًا .

التاسع : أن يكون مُتَّصِفًا بالكبر .

العاشر : أن يكون مُتَّصِفًا بالأعراض في الأفعال أو الأحكام .

فسبحانه وتعالى منزه عن أن يوصف بما سبق ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ (الشورى:١١) .

(١) توضيح العقائد في علم التوحيد ، عبد الرحمن الجزايري، (ص ٩٢)، ط. البصائر.

فائدة : قام الدليل العقلي وأيده الدليل النقلي على أنه تعالى لا يشابه شيئًا من خلقه .

فائدة : الصفات كالذات ، فكما أن ذات الحق سبحانه ثابتة حقيقة من غير أن تكون مشابهة لذوات الخلق ، فكذلك صفاته جل وعلا ثابتة حقيقة من غير أن تكون مشابهة لصفات الخلق[1] .

(وحدانية في الذات أو صفاته العلية) : وهي عدم التعدد في الذات أو في الصفات أو في الأفعال . فليس له تعالى نظير ولا شبيه ولا مثيل في ذاته أو في أفعاله أو في صفاته وضدها الشريك أو التعددية وهذه الصفة آخر الصفات الخمسة السلبية .

الدليل النقلي : قال تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة:١٦٣).

الدليل العقلي : لا يتصور أن يكون للكون إلهان أو أكثر ، لأن ذلك سبيل الفساد والهلاك ؛ قال تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء:٢٢) ؛ فوجود أكثر من إله يلزم منه الخلاف المؤدي إلى فساد نظام الحياة في العالم ، فإله يريد الخلق وإله آخر يريد الإعدام ، وهذا باطل .

معنى عدم التعدد :

أي وحدة الذات ووحدة الصفات ووحدة الأفعال .

---

(١) الجواهر في قواعد العقائد، (ص ١٢٩ ، ١٣٠) .

أما وحدة الذات فمعناها :

أ- عدم تركيب الذات من أجزاء .

ب ـ عدم وجود ذات تماثل ذاته تعالى .

وأما وحدة الصفات فمعناها :

أ- عدم وجود صفتين فأكثر من جنس واحد لله تعالى كقدرتين وقدرات وإرادتين وإرادات .

ب ـ عدم وجود صفة لغير الله تماثل صفته تعالى .

وأما وحدة الأمثال فمعناها عدم وجود فعل لغيره يماثل فعله تعالى[1].

٢٥- والفِعْلُ في التـأثيرِ لَـيسَ إلا للواحِـدِ القَهَّـارِ جَـلَّ وعَـلا

فالله تعالى مُتَّصِفٌ بوحدانية الأفعال فليس هناك مَنْ له فعل من الأفعال غيره ، فالكل عاجز إلا الله ، ثم إن الله تعالى إذا أراد شيئًا فعله فهو المؤثر في كل شيء فالنار لا تحرق وحدها بل تحرق بقدرة الله الواحد ، أرأيت أن نَبِيَّ الله إبراهيم عليه السلام عندما أُلقي في النار لم تحرقه ، بل كانت بردًا وسلامًا عليه ، فقد حرقت قيوده ولم يصب جسده بشيء ، وما ذلك إلا لأن الله تعالى قال للنار : ﴿ يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (الأنبياء:٦٩) .

مثال آخر : لا تأثير للطعام في الشَّبَع ، فالطعام ليس مُشْبِعًا بطبعه ولا بقوة مخلوقة فيه ، فلا تأثير للطعام في الشَّبَع ، بل المشْبِع هو الله تعالى عند الطعام لا به ، وإن شاء خلق الشبع بدون أكل الطعام ، أو خلق الجوع الشديد مع كثرة الأكل .

---

(١) مذكرة التوحيد والفرق لطلاب الصف الثاني الثانوي الأزهري ، تأليف الشيخ حسن السيد متولي ، (ص ١٥) ، ط. المكتبة الأزهرية للتراث (١٩٩٨م) .

فائدة : التأثير يحتاج إلى إدارة فاعلة وهذا لا يتحقق في الجماد ، فلا إرادة فاعلة إلا لله تعالى الموصوف بالقهار .

(والقهار) : هو الذي لا يغلب ، فقد قهر الملوك بالذل إليه والخلق بالموت.

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ (الأنعام:١٨) .

(جل) : قدره . وعلا : عن خلقه .

مبحث مهم : قال تعالى : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾

(الرعد:١٦).

فما من شيء سواء أكان خيراً أم شراً إلا ويدخل تحت قدرة الله تعالى .

وليس للعبد إلا مجرد الميل حالة الاختيار ، ولذا طولب بالتوبة والندم إذا ارتكب الذنوب .

فالاختيار المطلق مخصوص بالله تعالى ، وهذا لا ينفي إثبات نوع من الاختيار للإنسان يُسَمَّى . إن صحَّ التعبير . بالاختيار الجزئي ، وبه يتعلق تكليفه بالأوامر والنواهي[1] .

٢٦- ومَنْ يقُلْ بـالطَّبعِ أو بالعِلَّـةْ فَـذاكَ كُفْـرٌ عِنْـدَ أَهْـلِ المِلَّـةْ

---

(١) شرح الخريدة البهية ، الدردير ، (ص ٦٥)، تحقيق عبد السلام عبد الهادي شنار، ط. دار البيروني . سوريا (٢٠٠٤م) .

من يقل من الفلاسفة أن الأشياء تؤثر في نفسها ، فالنار تحرق بنفسها ، أو لعلة فيها تؤدي هذه العلة إلى الإحراق فهذا كفر عند أهل ملة الإسلام ؛ حيث جعلت النار لها قدرة خاصة لا يستطيع الإله ﷻ التصرف فيها ، وهذا يدل على عجز الإله ، والعجز محال على الله تعالى فقد اتصف ربنا - ﷻ - بالقدرة .

تعريف الطبع : هو ما يقع على الإنسان بغير إرادة ، وقيل يقصد به أن الأشياء لها تأثير بطبعها فالنار تحرق بطبيعتها عند مماستها للأشياء ، وقيل الطبع بالسكون الجِبلّة التي خلق الإنسان عليها .

تعريف العِلّة : معنى يحل بالمحل (الذات) فيتغير به حال المحل بلا اختيار ، ومنه يسمى المرض علة ، لأنه بحلوله يتغير حال الشخص من القوة إلى الضعف ، كحركة الأصبع علة في حركة الخاتم ، فكلما وجدت حركة الأصبع وجدت حركة الخاتم ، من غير توقف على شيء آخر ، وحينئذ فلا يتصور تخلف العلة عن معلولها ، وقيل هي ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجًا مؤثرًا فيه ، وهي قسمان :

الأول : ما تقوم به الماهية من أجزائها وتسمّى « علّة الماهية ».

- « العلة الصورية » ما يوجد الشيء بالفعل .
- « العلة الغائية » ما يوجد الشيء لأجله .
- « العلة الفاعلية » ما يوجد الشيء لسببه .
- « العلة المادية » ما يوجد الشيء بالقوة .

مثال : إن صناعة سرير من خشب تتوقف على وجود نجّار يصنعه ، إذ لا يُمكن أن يوجد السرير صدفة وبلا علة ، فيعدّ النجّار ، « علة فاعلية » في صنع السرير ، كما أن السرير لا يوجد بلا خشب ، فالخشب « علة مادية »

لوجود السرير ، كما أن السرير لم يكن ليوجد لولا صورته وهيئته التي كانت في ذهن النجار والتي أوجد السرير على غرارها ، وتسمَّى الصورة والهيئة هنا «بالعلّة الصورية» ، مضافًا إلى ما تقدم ، فإن النجّار حين صُنْعِهِ للسرير كان له غاية في صنعه وهي الرقاد والاستراحة عليه وهو ما يُسمّى «بالعِلَّة الغائية» .

والثاني : ما يتوقف عليه اتِّصاف الماهية المتقومة بأجزائها بالوجود الخارجي ، وتسمى «علَّة الوجود» .

قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (القصص:٦٨) .

والقول بالطبع أو بالعلة كما قالت الفلاسفة كفر لسلب إرادة الخالق في خلقه .

٢٧- ومَنْ يَقُلْ بالقُوَةِ المُودِعَةِ فَذاكَ بِدْعِيٌّ فلا تَلْتَفِتِ

(ومن يقل) : كالمعتزلة، بالقوة المودعة ، أي أن الله تعالى خلق للنار قدرة جعلها تحرق بهذه القدرة .

تعريف القوة المودعة : هي أن الله جل وعلا قد خلق هذا العالم وجعل فيه قوى تحركه وتُسَيِّره ؛ قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الزمر:٦٢) .

(فذاك) : القول .

(بِدْعِيّ) : ليس قائله بكافر ، بل هو مبتدع على الصحيح ؛ لأنه اخترع أمرًا لم يكن موجودًا من قبل ، والابتداع أقل من الكفر ، وسبب عدم كفره أنَّه يقول إنَّ الله تعالى قادر على أن يزيل هذه القدرة متى شاء .

فلا تلتفت: فلا تتأثَّر بكلامه ، فالله تعالى هو الخالق والمؤثِّر في خلقه .

٢٨- لَوْ لم يَكُنْ مُتَّصِفًا بها لَزِمْ حُدوثُهُ وَهْوَ مُحالٌ فاسْتَقِمْ

(لو لم يكن) : ربنا ـ ﷻ ـ . متصفًا بها : بهذه الصفات السابقة (القِدم ، والبقاء ، والقيام بالنفس ، والمخالفة للحوادث ، والوحدانية) . (لزم) : لحصل .

(حدوثه) : أي لاتَّصَفَ بصفات الحوادث . (وهو) : أي الحدوث .

(محال) : مستحيل على الله ، ويجب على كل مكلف أن ينزِّه ربَّه ويقدِّسه عن ذلك .

الحدوث الدال على النَّقص والاحتياج للغير .

فاستقم : سِرْ على الطريق المستقيم وصف ربَّك تعالى بجميع الكمالات ، ونزهه تعالى عن كل نقص فستنعم بصحيح العقيدة التي هي سبب السعادة في الدارين .

٢٩- لأنَّهُ يُفْضِي إلى التَّسَلْسُلِ والدَّوْرِ وهْوَ المُستَحيلُ المُنْجَلِي

(لأنه) : أي الوصف بالحدوث . (يفضي إلى) : أي يؤدِّي إلى .

(التسلسل) : أي لكل حادث محدث إلى ما لا نهاية له ، فالمخلوق محتاج لخالقه ، والخالق هو الآخر يحتاج إلى خالق وهكذا إلى ما لا نهاية له ، وهذا مستحيل في حقه تعالى .

تعريف التسلسل : هو ترتيب أمور لا نهاية لها في الوجود ، بأن يرتب شيء على شيء وشيء على آخر ، مثل : أن يتوقف وجود (أ) على وجود (ب) ، و(ب) على (ج) ، و(ج) على (د) ، وهكذا إلى ما لا نهاية له ، وهذا محال على الله تعالى .

(والدور) : بأن يرجع من أحد أفراد السلسلة الأول فيتوقف وجود المخلوق على وجود الخالق ، ووجود الخالق متوقف على وجود المخلوق ، وهذا مستحيل في حقه تعالى .

تعريف الدّور : هو توقُّف وجود الشَّيء على ما يتوقف وجوده عليه ، أو هو توقُّف الشيء على نفسه ، ومثال ذلك أن يقال : إن الذي يحمل (الكرسي) هو (زيد) ، ومن يحمل (زيد) هو (علي) ، ومن يحمل (علي) هو (الكرسي) الذي يحمله (زيد) ، فهذا الكلام يخالف العقل والقواعد المنطقية؛ لأن الكرسي محمول لـ (زيد) ، و(زيد) محمول لـ (علي) فكيف يكون (الكرسي) حاملاً لمن يحمله ؟ فهذا محال على الله تعالى .

(وهو المستحيل) : أي الباطل ؛ لأنه يلزم عنه فراغ أمر لا نهاية له وهو محال ، ويلزم عنه اجتماع النقيضين وهو محال . (المنجلي) : أي الواضح الظاهر لكل ناظر ومتأمل .

٣٠- فَهْوَ الجَلِيلُ والجَمِيلُ والوَلِي والطَّاهِرُ القُدُّوسُ والرَّبُّ العَلِي

(فهو الجليل) : أي العظيم في الصفات ، قال الإمام الغزالي - رحمه الله -: « في المقصد الأسنى » : « الجليل هو الموصوف بنعوت الجلال ، ونعوت الجلال هي العز والملك والعلم والغنى والقدرة وغيرها من الصفات الجامعة ، فالجامع لجميعها هو الجليل المطلق ، والموصوف ببعضها جلالته بقدر ما زال من هذه النعوت ، فالجليل المطلق هو الله. عز وجل . فقط »[1] . (والجميل) : المحسن .

---

(١) المقصد الأسنى ، (ص ١١٦ ، ١١٥) .

فائدة : اسم الجميل في الأصل وضع للصورة الظاهرة المدركة بالبصر ، مهما كانت بحيث تلائم البصر وتوافقه ، ثم نقل إلى الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر حتى يقال : سيرة حسنةٌ جميلة ، ويقال خلق جميل ، وذلك يدرك بالبصائر لا الأبصار .

قال زكريا الأنصاري ـ رحمه الله ـ : صفات الجلال صفات قهر ، والقهر يستفاد من السلب ، وصفات الجمال صفات لطف ، واللطف يستفاد من الإيجاد .

(والولي) : الناصر .

(والطاهر) : المنزه عن كل نقص ، (القدوس) : المنزه عن كل نقص .

(والرب) : المالك ، (العلي) : المرتفع القدر المبرَّأ عن كُل نقص .

فائدة : إذا أطلق لفظ الرَّب دون إضافة فينصرف إلى الله تعالى ، أما إذا أردنا غير الله تعالى فلا بد من الإضافة ، كقولك «ربّ المنزل» ، و«ربّ العمل» ، أي صاحبه .

٣١- مُنَزَّهٌ عــنِ الحُلــولِ والجِهَــةْ والاتِّصَــالِ الانْفِصــالِ والسَّــفَهْ

(منزه) : مبرّأ ، مقدّس ، (عن الحلول) : أن يوصف بأنّه تعالى حَلَّ في مكان ، فإنه تعالى مستغنٍ عن المكان ، (والجهة) : فلا يوصف بأمام أو خلف أو فوق أو تحت أو اليمين أو الشمال ، فسبحانه كان ولا مكان ، وهو الآن على ما كان .

قال تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ (الزخرف:٨٤).

فائدة : قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «كان الله ولا مكان ، وهو الآن على ما عليه كان»[1].

وقال أبو حنيفة : «قلت : أرأيت لو قيل : أين الله تعالى ؟

يقال له : كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق ، وكان الله تعالى ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء ، وهو خالق كل شيء» .

سؤال : إذا قال لك الشيطان لعنه الله تعالى : ما حقيقة ربك ؟

فقل : «لا يعلم الله إلا الله» ، وإذا طالت الوساوس فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقل : (آمنت بالله) وتفكر في قدرة الله وصنع الله وصفات الله ، واترك ذاته تعالى وتمثل دائمًا بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى:١١) .

قال رسول الله ﷺ : «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ حَتَّى يَقُولَ : مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ ، وَلْيَنْتَهِ» [رواه البخاري ، ومسلم] .

مسألة : إذا دعا الشخص ربَّه رفع رأسه أو يده إلى السماء ، وما ذلك إلا لأنَّ السَّماء قبلة الدعاء ؛ كما أن الكعبة قبلة الصلاة .

(والاتِّصال الانفصال) : فلا يوصف تعالى بأنه متَّصلٌ بشيءٍ أو منفصلٌ عن شيء ، فليس الله تعالى بجسمٍ أو عرضٍ ولا يوصف بحركةٍ ولا بسكون ، فكل ذلك من صفات الحوادث ، وكل ما ورد في الكتاب أو السنة يوهم المشابهة للحوادث ، فقد سلك العلماء طريقين في فهم هذه النصوص :

---

(١) الفرق بين الفِرَق (١/٣٢١) .

أ- تفويض معانيها إليه تعالى مع نفي ما يتوَّهم من صفات الحوادث .

وعلى هذا يحمـل قول القائل إن تفسير الآيات امرارها ؛ فقوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ (طه:٥) تفسير الآية قراءتها مع نفي أن يكون له عرش كعرش الحوادث بل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ (الشورى:١١) .

ب ـ تعيين محامل صحيحة إبطالاً لمذهب الضالين ، وإرشادًا للقاصرين ؛ فاليد تحمل في اللغة على القدرة ، والمراد : نفي المماثلة والمشابهة للخلق ، فكل ما يذكر في القرآن يوهم ذلك يؤَّول على معنى لائق بذاته تعالى ، مع نفي المماثلة والمشابهة ؛ قال تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (الفجر:٢٢) ، فلا يوصف بالمجيء المماثل للبشر ، بل المراد معنى لائق وهو جاء أمر ربك.

ومما ألجأ العلماء لذلك توهّم العامة وضلال المارقين ؛ حيث شبهوا ربنا ـ ﷻ ـ بأوصاف الخلق من يد ووجه وقدم وعين كجوارح خلقه ، بل وصل الأمر بالبعض بأن جسمه بصورة رجل ضخم ، وكل هذا محال على الله تعالى فهو القائل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ (الشورى:١١).

فائدة : معرفة الإنسان لله تعالى لا تكون إلا على مقدار معرفته لنفسه ، ولذلك لم يكلف بما فوق ذلك ، وإن كلف أن يعرف صفات الحق سبحانه لا تشابه صفات خلقه .

فائدة : ليس للفكر مجال في ذات الحق سبحانه وتعالى لا عقلاً ولا شرعًا .

(والسفه) كذلك نُنَزِّه ربَّنا تعالى عن السَّفه ، وهو وضع الشيء في غير محله ، فقد وصف ربنا نفسه بالحكمة ، فاستحال عليه تعالى السفه .

قال ابن عطاء الله ـ رحمه الله ـ : أيا عجبًا كيف يظهر الوجود في العدمْ؟ أم كيف يثبت الحادثُ مع مَن له وصف القدمْ؟! .

- **لطيفة** : أرسل الزمخشري صاحب تفسير الكشاف إلى حجة الإسلام أبي حامد محمد الغزالي رسالة طلب منه فيها تفسير آيات الصفات ، ومنها: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ ، وقد كان الزمخشري من المعتزلة ، فأجابه الإمام الغزالي بهذه الأبيات الرائعة ذات المدلول العميق :

قُلْ لِمَنْ يَفْهَمُ عَنِّي مَا أَقُولْ	قَصِّرِ القَولَ فذا شَرحٌ يَطُولُ
ثَمَّ سِرٌّ غامِضٌ مِن دُونِه	قَصُرَت واللهِ أعناقُ الفُحُولُ
أنتَ لا تَعرِفُ إيّاك ولا	تَدرِ مَن أنتَ ولا كيف الوُصُولُ
لا ولا تَدري صِفات رُكِّبَتْ	فيكَ حارَت في خَفاياها العُقُولُ
أينَ منكَ الرُّوحُ في جَوهَرِها	هل تَراها فتَرى كيف تَجُولُ
وكذا الأنفاسُ هل تحصُرْها	لا ولا تَدري متى عنكَ تَزُولُ
أينَ منكَ العَقلُ والفَهمُ إذا	غَلَبَ النَّومُ فقُل لي يا جَهُولُ
أنتَ أكلُ الخُبزِ لا تَعرِفُهُ	كيف يَجري مِنكَ أم كيف تَبُولُ
فإذا كانت طَوايَاكَ التي	بين جَنبَيكَ كذا فيها ضُلُولُ
كيف تَدري مَن على العَرشِ استَوى	لا تَقُل كيف استَوى كيف النُّزُولُ
كيف يُحكى الرَّبُّ أم كيف يُرى	فَلعَمري ليس ذا إلا فُضُولُ
فهْو لا أينَ ولا كيفَ لَهُ	وهْو رَبُّ الكَيفِ والكَيفُ يَحُولُ
وهْو فَوقَ الفَوقِ لا فوقَ لَهُ	وهْو في كُلِّ النَّواحي لا يَزُولُ
جَلَّ ذاتًا وصِفاتٍ وسَما	وتَعالى قَدرُهُ عَمّا تَقُولُ

٣٢- ثُـمَّ المَعَـانِي سَـبْعَةٌ للرَّائِـي　　أي عِلْمُـهُ المُحِـيطُ بالأشْـياءِ

بعد أن فرغ من الصفات النفسية والسلبية شرع في صفات المعاني وسميت بـ «صفات المعاني» ؛ لأنها أثبتت لله تعالى معاني وجودية قائمة بذاته لائقة بكماله ، وهي صفات زائدة على ذاته تعالى ، ومعنى زائدة على الذات ، أي ليست هي الذات .

ومعنى وجودية ، أي إنها أمر موجود ثابت محقق ، ومعنى أزلية ، أي قديمة بلا ابتداء ، ومعنى قائمة بذاته ، أي ليست مفصولة عن الذات بل هي مرتبطة بها ، وأولها :

العلم : هو صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالواجبات والمستحيلات والممكنات تعلق إحاطة وانكشاف تام دون سبق خفاء ، أي تنكشف بها الموجودات والمعدومات على ما هي عليه انكشافًا لا يحتمل النَّقيض بوجه ، فعلمه تعالى يحيط بكلِّ شيءٍ في خلقه .

الدليل النقلي : قال تعالى : ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (الطلاق:١٢) ، والكون وما فيه كتاب منظور شاهد على علمه تعالى ، فالله تعالى يعلم ذاته موجودًا واجب الوجود ، ويعلم انتفاء الشريك له سبحانه ، ويعلم الأشياء كلها في وجودها وعدمها ؛ قال تعالى : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأنعام:٥٩) .

الدليل العقلي : أنه لو لم يتصف بالعلم لاتصف بضده وهو الجهل فيلزم النقض وهو محال على الله تعالى ، وكيف يتصور عدم العلم فيمن صنع

وأبدع وأحكم هذا الكون المملوء بالعجائب الدالة على علم صانعه وهو الله تعالى فثبت له العلم .

وكذلك يستحيل عليه تعالى : « الظن ، والشك ، والوهم ، والذهول ، والغفلة ، والنسيان ، والسهو »، فكل هذا نقص والنقص محال عليه تعالى .

فائدة : معنى الانكشاف هو ظهور الشيء من غير خفاء[1].

تنبيه : لا يجوز شرعًا أن يطلق على علمه تعالى أنه مكتسب (أي حصل بعد سبق جهل) ، كما لا يجوز اعتقاد ذلك لأن الكسبي لا يكون إلا حادثًا سواء أكان معناه العلم الحاصل بالنظر أو بالاستدلال أم كان معناه ما تعلقت به القدرة الحادثة للزم الحدوث لمعناه ، ولو كان علمه تعالى كسبًا لاستلزم قيام الحوادث بذاته تعالى سبق جهله وكلاهما محال على الله تعالى الموصوف بالكمالات .

* * *

(١) تحفة المريد ، الباجوري ، (ص ٤٣) .

فائدة : علم البشر علم كسبي حصل بعد سبق جهل سواء أكان بالنظر والاستدلال أم كان علمًا ضروريًا وهذا العلم حصل بالاستمداد من الغير وليس ذاتيًا .

٣٣- حَياتُــــــهُ وقُــــــدْرَةٌ إرادَهْ   وكُـــــلُّ شـــــيءٍ كَـــــائِنٌ أرَادَهْ

(حياته) : صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تقتضي اتِّصافه بباقي الصفات ، وتعني أنه تعالى حي ؛ فقد وصف نفسه بالعلم والقدرة والإرادة والقدم والبقاء ، فدلَّ ذلك على حياته تعالى ، وحياته قديمة ليست بواسطة كحياة المخلوقين ، وليس لها بداية ولا نهاية «لا تستمد من أحد» ؛ فالله تعالى خالق الكون بقدرته ومدبر الكائنات بإرادته ، موصوفًا بصفات الجلال والكمال ، ومن اتصف بهذه الصفات فلابد أن يكون حيًا .

الدليل النقلي : قال تعالى : ﴿ **هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ** ﴾ (غافر:٦٥) .

الدليل العقلي : إذا ثبت لله تعالى العلم والقدرة والإرادة والقِدم والبقاء والوجود والوحدانية والمخالفة للحوادث والسمع والبصر والكلام وغير ذلك من صفات الكمال فلابد أن يوصف بالحياة ، ولو لم يوصف بالحياة لاتصف بضدها وهو الموت وهو محال على الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا** ﴾ (الفرقان:٥٨) ، فثبت أنه تعالى حي .

قُــدْرَةٌ

(وقدرة) : القدرة صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتّى بها إيجاد الممكن وإعدامه ، ومعناها أنه تعالى قادر على كل شيء ، يوجد الأشياء

ويعدمها ، لا يعجز عن شيء ، فالكون وما فيه طوع أمره لا يستطيع عصيانه ، سبحانه أمره بين الكاف والنون .

الدليل النقلي : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (يس:٨٢)، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة:٢٠) .

الدليل العقلي: الله صانع قديم له مصنوع حادث وكل من كان كذلك تجب له القدرة والاختيار ، فقد صنع الكون وما فيه بقدرة ، وإنه تعالى لو لم يكن قادرًا لكان عاجزًا ، ولو كان عاجزًا لما وجد شيء من العالم ، وعدم وجود شيء من العالم باطل بالمشاهدة فثبت أنه تعالى قادر .

إرادَةْ

(إرادة) : الإرادة : صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى ، تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من وجود أو عدم أو مقدار وزمان ومكان وجهةٍ ، ومعناها : أنه تعالى مريد مختار ، فلا يقع شيء في ملكه إلا بإرادته ومشيئته واختياره ، فما أراده كان ، وما لم يرده لم يكن .

الدليل النقلي : قال تعالى : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (البروج:١٦) .

الدليل العقلي : الله صانع العالم بالاختيار ، وكل من كان كذلك يجب له الإرادة ؛ فالله تعالى موصوف بالإرادة .

وضدها : القهر وهو نقص ، والنقص محال على الله تعالى ، فثبتت له الإرادة .

(وكل شيء كائن أراده) : فلا يقع في ملكه إلا ما يريد ، سواء أكان هذا الموجود مأمورًا به ، أم منهيًا عنه .

هل هناك رابط بين الصفات ؟

فالخير والشر في إرادته سبحانه إلا أنه لا يأمر إلا بالخير ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ (الأعراف:٢٨) ، ولذا فهما متغايران ، والعبد مسئول عما أمر به لا ما أريد له ، ولذا لا يحتج بالقدر يوم القيامة ، فلا يقول العبد إنَّ الله أدخله النار وهو مسلوب الإرادة ففعل الذنب ، فلماذا يدخله النار ؟ والجواب : إنَّ للعبد كسبًا وهو ميله لفعل الذنب فاستحق أن يدخل النار بعمله .

٣٤- وإنْ يَكُنْ بِضِدِّهِ قَدْ أمَرَا فالقَصْدُ غيرُ الأمرِ فاطْرَحِ المِرَا

فكل ما يجري في الكون فإنه بإرادة الله تعالى وقدرته ؛ فالطاعة والمعصية بإرادته تعالى ، ولا يقدر شيء على مخالفة إرادته حتى وإن خالف أمره ، فلا تلازم بين الإرادة والأمر ، بل هما متغايران ومنفكان عند أهل السنة خلافًا للمعتزلة ؛ فقد يأمر الله تعالى بشيء ولا يريد وقوعه ، وقد يأمر بشيء ويريد وقوعه ، وقد ينهي عن شيء ولا يريد وقوعه ، وقد ينهي عن شيء ويريد وقوعه ، وتوضيح ذلك في البيت الآتي .

٣٥- فقَدْ عَلِمتَ أربَعًا أَقْسَامَا في الكائناتِ فاحْفَظِ المَقَامَا

تنقسم الكائنات إلى أربعة أقسام :

١- **مأمور به ومراد** : كإيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه (أراد الله له الإيمان وأمره به) .

٢- **غير مأمور به وغير مراد** : كالكفر من أبي بكر رضي الله عنه (لم يرده الله تعالى ولم يأمره به) .

٣- **مأمور به وغير مراد** : أمره بالإيمان ولم يرد له الإيمان .

٤- غير مأمور به ومراد : ككفر أبي جهل .

فالإرادة غير الأمر فأزل الشك .

٣٦- كَلامُهُ والسَّـمْعُ والإبْصَـارُ فهْـوَ الإلـهُ الفاعِـلُ المُخْتـارُ

كَلامُهُ

(كلامه) : فالكلام هو صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى ، تدل على جميع الواجبات والمستحيلات والممكنات ، ليست بحرف ولا صوت تدل على جميع المعلومات ، ونؤمن به ولا نخوض في كيفيته ، فلا يعلم حقيقته إلا الله تعالى .

الدليل النقلي : قال تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ (النساء ١٦٤) .

الدليل العقلي : أن الكلام من صفات الكمال التي تجب لله تعالى ، وإذ لم يوصف بالكلام لكان نقصًا وهو محال عليه تعالى فثبت له الكلام ، وليس يخفى على ذي بصيرة أن آيات القرآن نصوص في اتِّصاف الرّب ـ ﷻ ـ بالقول ، فكم في سياق الآتي من إخبار الرب عن نفسه بالاتصاف بالقول كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ (غافر: ٦٠)[١].

وضده : البكم ، وهو محال عليه تعالى ؛ لأنه نقص .

فائدة : كلام الله نوعان : « نفسي ، ولفظي » .

فالكلام النفسي : هو المعاني التي تكون في النفس ، وهو غير العلم والإرادة ، وهذا الكلام النفسي قديم .

---

(١) العقائد النظامية ، الجويني ، (ص ١٥٢) ، ط . دار النفائس .

والكلام اللفظي : هو العبارات التي تدل على ما في النفس ، وهذا النوع حادث .

- القرآن كلام الله القديم :

القرآن الكريم المنزل على سيدنا محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام المبدوء بالفاتحة والمختوم بسورة الناس هو كلام الله تعالى الأزلي وهو غير مخلوق فلا يوصف بالحدوث .

- فتنة خلق القرآن :

أول من قال بأن القرآن مخلوق هو «الجعد بن درهم» نزيل دمشق ، فزعم أن الله تعالى لم يكلم موسى تكليمًا ، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً ، فقتله صلبًا «خالد بن عبد الله القسري» أمير بني أمية ، ويقال إن «الجهم بن صفوان» أخذ عن «الجعد» مقالته بخلق القرآن ، واستمر القول بخلق القرآن مع المعتزلة بمدرستيها البصرية والبغدادية ، ثم عمل المعتزلة على جعل هذا الاعتقاد مذهبًا للسلطة السياسية العباسية ممثلة بشخص الخليفة «المأمون»، وأخذوا يمتحنون العباد في ذلك ، فتعرّض الإمام «أحمد بن حنبل» للمحنة نتيجة تحديد القول بخلق القرآن ، وبالإجمال فقد قام أهل السنة فقهاء ومحدثين ومتكلمين بالتصدي للجهمية والمعتزلة وبيّنوا في كتبهم فساد هذا القول[1].

* * *

(١) هامش كتاب العقيدة النظامية ، للإمام الجويني ، (ص ٢٥٠)، دار النفائس ، تحقيق د. محمد الزُّبيدي .

السَّمْعُ

(والسَّمع) : صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى ، ينكشف بها جميع الموجودات انكشافًا تامًّا ، ومعناها : أنه تعالى موصوف بالسمع يسمع كل شيء بلا وساطة ، سرًا كان أو جهرًا (أي من غير واسطة ، كالأذن وغيرها).

الدليل النقلي : قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى:١١) .

وقال رسول الله ﷺ : «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا ، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا» [صحيح البخاري] ، ومعنى اربعوا : أشفقوا على أنفسكم ولا تجهدوها برفع الصوت في الدعاء ؛ فإنكم لا تدعون أصم ، بل تدعون ربكم الموصوف بالكمال في السمع والبصر وغير ذلك من الكمالات .

عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ : «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُكَلِّمُهُ وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾» [مسند أحمد، وابن ماجه، والنسائي].

الدليل العقلي على أنه تعالى سميع : استخدمت الأشاعرة قياس الغائب على الشاهد لإثبات كونه تعالى سميعًا بصيرًا ، فالحي إذا لم يتصف بآفة تمنعه من إدراك المسموعات والمبصرات إذا وجدت فهو سميع بصير ، فلما كان الله تعالى حيًّا لا يجوز عليه الآفات من الصمم والعمى وغير ذلك، إذ إن الآفات تدل على حدوث من جازت عليه صح أن الباري عَزَّوَجَلَّ سميع بصير[1] .

---

(١) الإشارة إلى مذهب أهل الحق ، الشيرازي ، (ص ١٤٥) .

والسمع من صفات الكمال ، وضده : الصمم وهو محال على الله تعالى؛ لأنه نقص .

تنبيه : صفة السمع لا تتعلق بالأصوات فقط ، بل تتعلق بكل موجود ، فينكشف بها كل موجود سواء كان قديمًا ، كذاته تعالى ، أو حادثًا ، كسائر الحوادث ، فيسمع تعالى السواد والبياض والأصوات .

وقال تعالى : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (طه:٤٣-٤٦) .

الإبْصَارُ

(والإبصار) : صفة البصر هي صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى ينكشف بها جميع الموجودات انكشافًا تامًّا ، ومعناها : أنّه تعالى موصوف بالبصر يبصر كلّ شيء ظاهر وباطن بلا وساطة (أي من وساطة كالعين وغيرها) .

الدليل النقلي : قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى:١١) .

الدليل العقلي : إن الإنسان بفطرته يدرك أن من شأن الإله أن يكون بصيرًا ، يراه ويراقبه في أفعاله وأقواله وحركاته وسكناته ، ولا يعقل أن الله سبحانه وتعالى . يوصف بالعمى الذي هو نقص فقد وصفت به الأصنام التي لا تتكلم ولا تسمع ولا ترى ، فجاء الإسلام يقضي على عبادتها ويرشد الناس إلى إله يوصف بكل الكمالات وينزه عن كل نقص وصفت به الأصنام ، فالبصر من صفات الكمال ، وضده : العمى وهو نقص ، والله تعالى منزه عن كل نقص ، فوجب أن يوصف بالإبصار .

(فهو الإله) : الموصوف بهذه الصفات . (الفاعل) : الخالق .

(المختار) : فلا إرادة إلا إرادته ، ولا قدرة إلا قدرته تعالى .

تتمة : صفات المعاني سبعة وهي : «العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام» وزاد بعض العلماء صفة ثامنة من صفات المعاني سموها صفة «الإدراك» يدرك الله تعالى بها الملموسات والمشمومات والمذوقات من غير تشبيه بصفات البشر ، بل كمال يليق بجلال الله وكماله.

ونفى كثير من العلماء هذه الصفة وقالوا : «إنَّ إحاطة علم الله تعالى بهذه الأشياء تكفي عن إثباتها ، ولأنه لم يرد بصفة الإدراك نص ديني من القرآن المجيد والسنة الصحيحة»[1].

٣٧- وواجِبٌ تَعْليقُ ذي الصِّــفَاتِ	حَتْمًـــا دوَامًـــا مـــا عَـــدَا الحَيَـــاة
٣٨- فالعِلْمُ جَزْمًا والكَلامُ السَّــامِي	تعَلَّقَـــــا بســـــائِرِ الأقْســـــامِ
٣٩- وقُـــــدْرَةٌ إرَادَةٌ تعَلَّقَـــــا	بالمُمْكِنَـــاتِ كُلِّهَـــا أَخَـــا التُقَّـــى
٤٠- واجزِمْ بِأَنَّ سَــمْعَهُ والبَصَــرا	تَعَلَّقَـــا بِكُـــلِّ مَوجُـــودٍ يُـــرَى

صفات المعاني السبعة ما عدا صفة الحياة تقتضي أمرًا زائدًا على قيامها بالذَّات ، كالعلم يقتضي معلومًا ينكشف به ، وهذا يسمَّى تعلُّقًا ، فيجب عقلاً دائمًا مستمراً .

وصفات المعاني من حيث تعلقها تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

- الأول : القدرة والإرادة «تتعلقان بالجائزات العقلية» .

---

(١) تيسير العقيدة بشرح الخريدة ، أ. د. محمد سيد أحمد المسير ، (ص٣٢) ، ط. مكتبة الصفا (٢٠٠٤م) .

- الثاني : العلم والكلام « تتعلقان بالجائزات والواجبات والمستحيلات العقلية » .

- الثالث : السمع والبصر « تتعلقان بالموجودات » .

معنى تعلُّق الصفات :

أن الصفات تتطلب شيئًا زائدًا على كون الذات متصفة بها ، بمعنى : أن لها وظائف غير قيامها بالذات ، فمثلاً القدرة تتطلَّب مقدوراً تؤثِّر فيه ، والعلم يتطلب معلومًا منكشفًا ومتجليًا يُعْلَمُ ، والإرادة تتطلَّبُ أمرًا يكون مُرَادًا ومختارًا دون ما يقابله ، والكلام يتطلَّبُ متكلَّمًا عنه ، والسَّمع يتطلب شيئًا موجودًا يكون مسموعًا ، والبصر يتطلب شيئًا يكون مُبْصَرًا .

أما الصِّفات التي لا تتعلَّق ، فهي مثل : اتِّصاف الذات بالوجود ؛ حيث تقتضي موجودًا وهو الذات ، والحياة تتطلب حيًّا وهو الذات الحيّ ، والقدم يتطلب قديمًا وهو الذات نفسها ، والبقاء باقٍ ، والمخالف مخالِف لغيره ، وكذا الوحدانية ، وكلها لا يخرج متطلبها عن موصوفها الذي هو الذات ؛ لذا فلا تعلق لها .

٤١- وكُلُّهَا قَدِيمَةٌ بالذَّاتِ   لأَنَّهَا لَيْسَتْ بِغيرِ الذَّاتِ

(وكلها قديمة بالذات) : فكل هذه الصفات السابقة قديمة غير حادثة وقدمها بقدم الذات ؛ (لأنها ليست بغير الذات) : أي لأنها لا تنفك عن الذات ولا يعقل قيام الذات من غيرها .

٤٢- ثُمَّ الكَلامُ لَيْسَ بالحرُوفِ   ولَيْسَ بالتَّرتِيبِ كَالمَأْلُوفِ

فكلام الله تعالى لا يشبه كلام الحوادث المكون من الحروف المرتبة المعروفة ، وإنما هو ليس بحرف ولا صوت ولا فيه تقديم ولا تأخير ، ولا

يعلم حقيقته إلا الله تعالى ، وإنما معنى قائم بذاته تعالى ، يعبر عنه باللفظ، أما الحادث من الكلام فهو الحروف والأصوات .

فائدة : الكلام النفسي : ما ليس بحرف ولا صوت ، ولا يوصف بتقديم ولا تأخير ، ولا تقسيم ، ولا بداية ولا نهاية ، وهو قديم ليس بمخلوق .

والكلام الحسي : ما كان بحرف وصوت ، ومدلوله بعض مدلول الكلام النفسي القديم القائم بذاته تعالى .

- كلام الله مسموع :

رتب الباقلاني إسماع الله تعالى لخلقه الكلام على ثلاث مراتب :

الأولى : تارة يسمع من شاء كلامه بغير واسطة لكن من وراء حجاب ، ونعني بالحجاب للخلق لا للحق كموسى عليه السلام أسمعه كلامه بلا واسطة لكن حجبه عن النظر إليه .

والثانية : وتارة يسمع كلامه من شاء بواسطة مع عدم النظر والرؤية أيضًا من ملك أو رسول أو قارئ ؛ وهو استماع الخلق من الرسول ﷺ عند قراءته للصحابة وقراءة الصحابة على التابعين ، وكذلك هلم جرًّا إلى يومنا هذا .

والثالثة : يسمع كلام الله تعالى على الحقيقة لكن بواسطة ، فتارة يسمع كلامه من شاء من الخلق بغير واسطة ولا حجاب ، كتكليمه لنبينا ﷺ ليلة المعراج .

دليل الثلاثة قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا ﴾ (الشورى:٥١) وهو نبينا ﷺ أسمعه الله تعالى كلامه ليلة المعراج من غير واسطة ولا حجاب ، لأنه تعالى في تلك الليلة قال : ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ

أَوْحَىٰ﴾ (النجم:١٠) ولا يحمل الوحي ها هنا على الإلهام بل على السماع والإفهام ؛ أو من وراء حجاب ، كموسى عليه السلام أسمعه كلامه بلا واسطة لكن حجبه عن الرؤية ، أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء فيسمع من يشاء كلامه بواسطة تبليغ الرسول أو قراءة القارئ . وهذه جملة بليغة في هذا المعنى إن شاء الله تعالى .

٤٣- ويَسْتَحِيلُ ضِدُّ ما تَقَدَّمَا مِنَ الصِّفَاتِ الشَّامِخَاتِ فاعْلَمَا

فقد وجب لله تعالى صفات عظيمة ، فاستحال أن يوصف بضدها ، والمستحيل إجمالاً كل ما قدره العقل من نقص فيجب على المكلف نفيه على العموم ، وإنما يجب تفصيلاً معرفة أضداد العشرين صفة الواجبة ؛ فالوجود ضده العدم ، والقِدم ضده الحدوث ، والبقاء ضده الفناء ، والقيام بالنفس ضده الافتقار للغير ، والمخالفة للحوادث ضدها الموافقة للحوادث، والوحدانية ضدها التعدد أو الشريك ، وضد الحياة الموت ، وضد العلم الجهل ، وضد القدرة العجز ، وضد الإرادة الإجبار ، وضد السمع الصمم ، وضد البصر العمى ، وضد الكلام البكم، وضد الصفات المعنوية كذلك[1] .

٤٤- لأنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مَوصُوفًا بِهَا لكَانَ بالسِّوَي مَعْروفًا

فإذا لم يكن ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ موصوفًا بصفات الكمال لكان موصوفًا بأضدادها ، وهذا محال ؛ لما يلزم منه النقص المؤدي إلى عدم الكمال المطلق ، وهذا باطل .

٤٥- وكُلُّ مَنْ قَامَ بِهِ سِواها فهْوَ الذي في الفَقْرِ قَد تَناهى

(١) الإنصاف ، للإمام الباقلاني ، (ص ٨٣ ، ٨٥) .

وكل من قامت أضداد هذه الصفات الواجبة لله تعالى فيه كالشريك والافتقار للغير ، والجهل فهو ، المحتاج إلى غيره ، واحتياجاته كثيرة ، وليس لها نهاية ، وهذا هو الفارق بين الخالق الموصوف بالكمالات والمخلوق الذي من صفاته العجز والنقص .

٤٦- والواحِـــدُ المَعْبُـــودُ لا يَفْتَقِـــرُ ... لِغَيْـــرِهِ جَـــلَّ الغَـــنِيْ المُقْتَـــدِرُ

والله الواحد المعبود لا يحتاج لأحد فقد ثبت قيامه بالنفس وغناه عن الخلق؛ قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ (البقرة:٢٥٥) .

(جلَّ) : عظم . الغنيّ : عن خلقه . المقتدر : القادر .

- تتمة : الصفات المعنوية : هي صفات تثبت لموصوفها تبعًا لثبوت صفة أخرى لذلك الموصوف ، وهي سبع : كونه قادرًا تبعًا للقدرة ، وكونه مريدًا تبعًا للإرادة ، وكونه عالمًا تبعًا للعلم ، وكونه حيًّا تبعًا للحياة ، وكونه سميعًا تبعًا للسمع ، وكونه بصيرًا تبعًا للبصر ، وكونه متكلِّمًا تبعًا للكلام ؛ فالصفات المعنوية تابعة لصفات المعاني السبعة ، فهو الأحكام التي تترتَّب على ثبوت صفات المعاني .

- تتمة : الصفات المعنوية السبعة : سميَّت معنوية لأنها لازمة للمعاني وتابعة لها لأن معنى صفات المعاني هي كل معنى كمالي وجودي قائم بذات موجودة يوجب لهذه الذات حكمًا ، فالصفات المعنوية هي ليست أكثر من نتائج صفات المعاني أي هي الأحكام التي تترتب على صفات المعاني[1] .

---

(١) كبرى اليقينيات ، د. محمد سعيد رمضان البوطي ، (ص ١٣٠) ، ط. دار الفكر. دمشق .

فمثلاً القدرة هي معنى كمالي موجود بالذات يوجب للذات حكمًا وهو كونه قادرًا وهكذا باقي الصفات .

فائدة : الفرق بين صفات المعاني والصفات المعنوية :

أن صفات المعاني «وجودية» تعقل ذهنًا وخارجًا ، أما الصفات المعنوية «ثبوتية» تعقل ذهنًا لا خارجًا ؛ فالصفات المعنوية ملازمة لصفات المعاني.

وأضداد الصفات المعنوية ملازمة لأضداد صفات المعاني ، فضد كونه قادرًا كونه عاجزًا ، وضد كونه مريدًا كونه كارهًا ، وضد كونه عَالِمًا كونه جاهلاً ، وضد كونه حيًّا كونه ميتًا ، وضد كونه سميعًا كونه أصم ، وضد كونه بصيرًا كونه أعمى ، وضد كونه متكلِّمًا كونه أبكم ، وكل هذا مستحيل في حقه تعالى .

وهذه الصفات السبعة المعنوية محل خلاف ؛ حيث قال أبو الحسن الأشعري ـ رحمه الله ـ : إنها ليست زائدة على صفات المعاني ، بل هي عبارة عن قيام المعاني بالذَّات ، وليس لها ثبوت في الخارج ، فمعنى كونه قادرًا ؛ اتصاف الله تعالى بالقدرة وهكذا ، ومن العلماء من أثبتها ، والله تعالى أعلم .

٤٧- وجَـــائِزٌ في حَقِّـــهِ الإيجَـــادُ والتَّـــرْكُ والإشْـــقَاءُ والإسْـــعَادُ

فيجوز في حقه تعالى (الإيجاد) وهو الخلق ، فقد تتعلَّق قدرته تعالى بالإحياء أو الموت ، فيحيي من يشاء ويميت من يشاء ، ويجوز في حقِّه تعالى (الترك) للممكنات ، سواء أكانت موجودة أم لا ، فسبحانه إن شاء

فعل أو ترك ، فلو وجب أو استحال في حقه تعالى فعل شيءٍ من الممكنات أو تركه للزم قلب الحقائق ، وهو باطل ؛ قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (آل عمران:٢٦) .

(والإشقاء) للعباد بأن لم يوفق العبد للهداية ، (والإسعاد) للعباد بأن يرزقهم الهداية وخلق الطاعة في العبد ؛ فسبحانه وتعالى يميت من يشاء على الإيمان ، ويميت من يشاء على الكفر .

ومما يجب اعتقاده أن السعادة والشقاوة مقدَّرتان أزلاً من عند الله تعالى؛ فالطاعة والإيمان علامة السعادة ، والعصيان والكفر علامة الشقاوة ، فخاتمة الإنسان تدل على ما قدر له أزلاً .

فائدة : الإيجاد هو : تعلق القدرة بوجود المقدور ، كأن تعلَّقت بالحياة سُمِّي إحياء .

الإشقاء لغة : الشِّدَّة والعسر والمحنة .

واصطلاحًا : هو خلق الكفر في العبد .

ويسمى الإشقاء الخذلان والإضلال ، والشقي هو من مات على الكفر ، فالكفر علامة على الإشقاء .

الإسعاد لغة : ضد الإشقاء .   واصطلاحًا : هو خلق قدرة الطاعة .

ويسمى الإسعاد الهداية ، والسعيد هو من مات على الإيمان ، والإسلام علامة على الإسعاد .

- تتمة :

أفعال العباد

للعبد كسب لأفعاله الاختيارية ، ويتعلق التكليف بهذا الكسب ، وليس مُوجدًا وخالقًا لها ، وإنما له فيها نسبة ترجيح كالميل للفعل أو الترك ، بينما الخلق لله ﷻ ؛ لأن التأثير بيده تعالى ، فالعبد مكلَّف حيث وجد الأمر والنهي ، ولو لم يكن للعبد كَسْب لكان الأمر والنهي عبثًا ، فللعبد فعل اضطراري كحركة المرتعش ، وفعل اختياري كأن يصلي أو لا .

- والخلاصة : العبد مسيَّر في غير التكاليف ، فمريض السرطان مسيَّر في ذلك لا دخل له فيه ، ومخيَّر في كلِّ التكاليف كالعبادات ، وإنَّ الله تعالى يعلم ما سيفعله العبد قبل أن يفعله بعلمه الواسع المحيط لما كان وما يكون وما سيكون .

٤٨- ومَنْ يَقُلْ فِعلُ الصَّلاحِ وَجَبا علـى الإلـهِ قَـدْ أَسَـاءَ الأَدَبَـا

(الصلاح) : ضده الفساد ، والأصلح : هو الأنفع والأوفق في الحكمة والتدبير ، ولا يجب على الله تعالى شيء ؛ قال تعالى : ﴿ **لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ** ﴾ (الأنبياء:٢٣) ، فمن قال إنه يجب على الله تعالى رعاية الصلاح والأصلح للعبد ، وأنَّه يجب على الله تعالى فعل النفع والصالح للعباد ، فقد أساء الأدب مع الله تعالى ، والمراد فرقة المعتزلة القائلين بوجوب رعاية الصلاح والأصلح للعبد .

فائدة : الألف في « وجبا » و« الأدبا » للإطلاق حيث يطلق الفم بمدها .

فائدة : سأل الإمام أبو الحسن الأشعري ﷺ شيخه أبا علي الجبائي وهو يقرر مسألة وجوب الصلاح ، فقال له : ما تقول في ثلاثة إخوة ، مات أحدهم مطيعًا ، والآخر عاصيًا ، والثالث صغيرًا ؟

فقال الجبائي : الأول يثاب بالجنة ، والثاني يعاقب بالنار ، والثالث لا يثاب ولا يعاقب .

فقال الأشعري : فإن قال الثالث : يا رب ، لم أمتني صغيراً ولم تبقني إلى أن أكبر فأطيعك لأثاب بالجنة ؟!

فقال الجبائي : يقول الرَّب تعالى : إني كنت أعلم منك أنك لو كبرت لعصيت ، فدخلت النار ، فكان الأصلح لك موتك صغيراً .

فقال الأشعري : فإن قال الثاني : يا رب ، لِمَ لَمْ تمتني صغيراً لئلا أعصي فلا أدخل النار ؟ ماذا يقول الرب ؟

فبهت الجبائي ، ويروى أنَّه قال للأشعري : أبك جنون ؟!

فقال الأشعري : لا ، ولكن وقف حمار الشيخ في العقبة .

فترك الأشعري مذهب الاعتزال ، وصار من أهل السنة والجماعة ، بل صار إمامًا لهم ، وتفرَّغ للرَّد على المعتزلة وغيرهم من الفرق .

فائدة : أقام الأشاعرة الأدلة على بطلان الصلاح ، ولم يأتوا بأدلة على بطلان الأصلح ، وهذا لأن الصلاح أعم من الأصلح ، وبطلان الأعم يقتضي بطلان الأخص .

٤٩- واجْزِم أَخِـي برُؤيَـةِ الإلَـهِ　　　في جَنَّـةِ الخُلْـدِ بِـلا تَنَـاهِي

اقطع أيها المكلف بأن أهل الجنة يرون ربهم تعالى في الآخرة ، من غير

إحاطة بحدود المرئي ونهاياته ؛ لاستحالة ذلك ولن يستطيع الإنسان أن يدرك منتهى الله تعالى ، والرؤية للمؤمنين فقط ، أما العصاة فلن يروا ربهم.

تعريف الرؤية : هي الانكشاف التام بالبصر ، والإيمان بها واجب شرعي.

ومحل الرؤية : في جنة الخلد ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ : هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : « هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا» . قُلْنَا : لا ؛ قَالَ : « فَإِنَّكُمْ لا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ ، إِلاَّ كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا ». [صحيح البخاري]. فيرى المؤمنون ربهم في مثل يوم الجمعة والعيد ، ويراه خواصهم كل يوم ، بكرةً وعشيًا وبعضهم لا يزال مستمرًا في الشهود .

٥٠- إِذِ الوُقُــوعُ جَــائِزٌ بالعَقْــلِ وَقَــدْ أَتَــى فِيــهِ دَلِيــلُ النَّقــلِ

فرؤية الله تعالى لأهل الجنة في الآخرة واقعة ، يدل على ذلك دليل العقل؛ فالله تعالى موجود ويصح رؤية كل موجود إذا رفعت الحجب ، ودليل النقل سؤال موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ (الأعراف:١٤٣) ، فإن كانت الرؤية ممتنعة ما طلبها موسى عليه السلام وهو رسول معصوم ، وتعلُّق الرؤية على أمرٍ ممكنٍ وهو استقرار الجبل دليل على إمكانية الوقوع ، قال تعالى : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾ (القيامة:٢٢-٢٣) ، وقد وقعت الرؤية لرسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج بالبصر لا بالقلب فقط ، وهو المعتمد .

قال ابن عباس ـ ﷺ ـ : (أتعجبون أن تكون الخلّة لإبراهيم عليه السلام ، والكلام لموسى عليه السلام ، والرؤية لمحمد ﷺ) ؟! .

قال الإمام أحمد بن حبل رضي الله عنه : (أنا أقول بحديث ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ بعينه رآه رآه) .

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه : (لما حجب قومًا بالسخط دل على أن قومًا يرونه بالرضا) .

وقال الإمام مالك رضي الله عنه : (لما حجب أعداءه فلم يروه ؛ تجلّى لأوليائه حتى يروه ، ولو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يُعيّر الكافرون بالحجاب) .

قال القاضي عياض رضي الله عنه : (رؤية الله جائزة عقلاً ، ثبتت الأخبار الصحيحة المشهورة بوقوعها للمؤمنين في الآخرة) .

فائدة : أقوال العلماء في رؤية الرسول ﷺ لربه في الدنيا :

١- أنه ﷺ رآه بعين اليقظة .
٢- أنه ﷺ لم يره .
٣- أنه ﷺ رآه بقلبه .
٤- التوقف .

والراجح الأول ؛ لقوة الأدلة ، ولترجيح المثبت على النافي عند تعارض أقوال الصحابة ، وهو منقول عن أنس بن مالك رضي الله عنه وعبد الله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ .

- رؤية الله لغير النبي ﷺ في الدنيا :

الصحيح أن رؤيته تعالى في الدنيا لم تثبت إلا له ﷺ ، ومن أدَّعاها غيره في الدنيا يقظة فهو ضال ، وذهب بعضهم إلى تكفيره ، أخرج مسلم في صحيحه : « تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ» .

- أمور تتعلق بمبحث الإلهيات :

يجب لله تعالى عشرون صفة تفصيلاً :

خمسة سلبية : « القِدَم ، والبَقاء ، والمخالفة للحوادث ، والقيام بالنفس ، والوحدانية » .

وسبعة معاني : « الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر، والكلام » .

وسبعة معنوية : « كونه حيًّا ، وكونه عالِمًا ، وكونه قادرًا ، وكونه مريدًا ، وكونه سميعًا ، وكونه بصيرًا ، وكونه متكلِّمًا » .

ويستحيل ضد هذه الصفات العشرين تفصيلاً .

الواجب في حق الله تعالى		المستحيل في حق الله تعالى
١- الوجود (صفة نفسية)	ضدها	٢١- العدم
٢- القِدم (صفة سلبية)	ضدها	٢٢- الحدوث
٣- البقاء (صفة سلبية)	ضدها	٢٣- الفناء
٤- المخالفة للحوادث (صفة سلبية)	ضدها	٢٤- الموافقة للحوادث
٥- القيام بالنفس (صفة سلبية)	ضدها	٢٥- الافتقار للغير
٦- الوحدانية (صفة سلبية)	ضدها	٢٦- الشريك
٧- الحياة (صفة معان)	ضدها	٢٧- الموت
٨- القدرة (صفة معان)	ضدها	٢٨- العجز
٩- الإرادة (صفة معان)	ضدها	٢٩- الإكراه
١٠- العلم (صفة معان)	ضدها	٣٠- الجهل
١١- السمع (صفة معان)	ضدها	٣١- الصمم

١٢- البصر (صفة معان)	ضدها	٣٢- العمى
١٣- الكلام (صفة معان)	ضدها	٣٣- البكم
١٤- كونه حيًّا (صفة معنوية)	ضدها	٣٤- عدم الحياة
١٥- كونه قادرًا (صفة معنوية)	ضدها	٣٥- عدم القدرة
١٦- كونه مريدًا (صفة معنوية)	ضدها	٣٦- عدم الإرادة
١٧- كونه عالمًا (صفة معنوية)	ضدها	٣٧- عدم العلم
١٨- كونه سميعًا (صفة معنوية)	ضدها	٣٨- عدم السمع
١٩- كونه بصيرًا (صفة معنوية)	ضدها	٣٩- عدم البصر
٢٠- كونه متكلمًّا (صفة معنوية)	ضدها	٤٠- عدم الكلام
٤١- الجائز في حقه تعالى إيجاد الممكن وإعدامه .		

الواجب في حق الرسل		المستحيل في حق الرسل
٤٢- الصدق	ضدها	٤٦- الكذب
٤٣- الأمانة	ضدها	٤٧- الخيانة
٤٤- التبليغ	ضدها	٤٨- الكتمان
٤٥- الفطانة	ضدها	٤٩- البلادة
٥٠- الجائز في حق الرسل الأعراض البشرية غير المنفّرة .		

فائدة : وجود الله تعالى وصفات جلاله وكماله أمور يوجبها العقل ، ويوقن بها من خلال نظرة تأملية يسيرة :

- فوجود الخلق دليل وجود الخالق .

- واستقامة الخلق دليل وحدة الخالق .
- وتنوع الخلق دليل إرادة الخالق .
- وعظم الخلق دليل قدرة الخالق .
- وحكمة الخلق دليل علم الخالق .
- وكل هذه الأشياء دليل حياة الخالق .
- وحدوث الخلق دليل قِدم الخالق .
- ومن كان خالقًا قديمًا فهو باقٍ أبدي مباين (مخالف) لخلقه ، مالك لهم ، غني عنهم ، وهو العلي الكبير ، وهكذا تتوالى صفات الجلال والكمال ، وجاءت نصوص القرآن المجيد تؤكِّد هذه الصفات ، وتوقظ الفطرة السليمة للإيمان بها[1] .

- **القضاء والقدر :**

الإيمان بهما ركن من أركان الإيمان التي لا يكون المرء مؤمنًا إلا إذا رضي بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره .

والقضاء لغةً : الحكم ، قال تعالى : ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا** ﴾ (الإسراء:٢٣) . وشرعًا : إرادة الله تعالى الأشياء على ما هي عليه ، قال تعالى : ﴿ **إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ** ﴾ (آل عمران:٤٧) .

والقدر لغة : الحد ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ** ﴾ (القمر:٤٩).

(١) الإلهيات في العقيدة الإسلامية ، د. أحمد المسير ، ط. دار الاعتصام ، (ص ١٢٤) .

وشرعًا : أن الله تعالى حدد الأشياء فهي تقع حسب تقدير الله وفي الأوقات التي عينها الله .

أي علم الله تعالى بما يكون عليه المخلوقات في المستقبل ، فكل شيء جرى ويجري وسيجري في حياتنا بقضاء الله وقدره يعلم سبحانه ما كان وما يكون وما سيكون ، وعلى المسلم أن يأخذ بالأسباب في كلِّ الأمور ، ويرضى ويسلِّم بحكم الله فيه .

- أسماء الله . تعالى . الحسنى :

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ (الأعراف: ١٨٠) .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لله تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَإِنَّ اللهَ وِترٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ ». [صحيح مسلم] ، ومعنى أَحْصَاهَا أي حَفِظَهَا ، قالها البخاري .

أو المراد العمل بمقتضى الأسماء كـ « الرحمة ، والكرم ، والعلم ، والعفو » إلى آخره .

ومن العلماء من قال إنَّ الأسماء الحسنى محصورة في هذا العدد ، ومنهم من يقول إنَّها أكثر من العدد المذكور في الحديث ، بل المراد الإخبار بأن من أحصى هذه الأسماء دخل الجنة .

وأسماء الله الحسنى توقيفية فنلتزم بما ورد ، ويتسامح في الصفات ، ولا يتسامح في الأسماء ، كأن نقول على الله تعالى « صانع الكون » فيصحّ ذلك ما دام الوصف يدل على الكمال .

- معاني أسماء الله الحسنى[1] :

١- الله : لفظ الجلالة علم على الذات الإلهية المقدسة الواجبة الوجود المستحقة لجميع المحامد .

٢- الرحمن : المنعم بجلائل النعم ـ مثال . الإيمان أعظم نعمة .

٣- الرحيم : المنعم بدقائق النعم ـ مثال . الطعام والشراب .

٤- الملك : المتصرف في ملكه كيفما شاء .

٥- القدوس : المطهر والمنزه من العيوب والنقائص .

٦- السلام : الأمان لخلقه .

٧- المؤمن : المؤمن لخلقه من العذاب والمصدق وعده لهم .

٨- المهيمن : المسيطر .

٩- العزيز : الغالب .

١٠- الجبار : المنفذ لأوامره والمصلح لشئون عباده .

١١- المتكبر : المنفرد بصفات العظمة .

١٢- الخالق : الموجد للمخلوقات من غير أصل أو المقدر .

١٣- البارئ : الخالق لما فيه الروح والموجد لما له أصل .

١٤- المصور : المعطي لكل شيء صورة تميزه عن غيره ، فالخالق الموجد للأشياء إيجادًا أوليًا ، أو المقدر ، والبارئ المظهر لها ، والمصور الذي أعطاها الصورة المناسبة .

---

(١) العقائد الإسلامية ، الشيخ سيد سابق (ص ٢٤ ، ٢٩) ط. دار الكتاب العربي، بيروت.

١٥- الغفار : كثير المغفرة وستر الذنوب .
١٦- القهار : القابض على كل شيء والقاهر لكل الخلائق .
١٧- الوهاب : كثير النعم دائم العطايا والمنن .
١٨- الرزاق : خالق الأرزاق وخالق أسبابها .
١٩- الفتاح : الذي يفتح خزائن رحمته لعباده .
٢٠- العليم : العالم بكل شيء فلا يغيب عنه شيء .
٢١- القابض : قابض الأرواح ، أو مضيق الرزق على من يشاء من عباده .
٢٢- الباسط : موسع الرزق على من يشاء .
٢٣- الخافض : الذي يخفض من هو مستحق للخفض بالخزي والذل والعذاب .
٢٤- الرافع : الذي يرفع من يستحق الرفعة من المتقين .
٢٥- المعز : يعزل من استمسك بدينه ويعطيه النصرة والغلبة .
٢٦- المذل : الذي يذل أعداءه .
٢٧- السميع : الذي لا يغيب عنه مسموع وإن خفي، يعلم السر وأخفى.
٢٨- البصير : الذي يشاهد جميع الموجودات ولا تخفى عليه خافية .
٢٩- الحكم : الحاكم الذي لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه .
٣٠- العدل : العادل الكامل في عدالته .
٣١- اللطيف : العالم بخفايا الأمور ودقائقها .
٣٢- الخبير : العالم بكل شيء ظاهره وباطنه ، فلا يحدث شيء إلا بخبرته.
٣٣- الحليم : الذي لا يستفزه غضب ولا يتعجل بالعقوبة .
٣٤- العظيم : البالغ أقصى مراتب العظمة .
٣٥- الغفور : كثير الغفران .
٣٦- الشكور : الذي يُعطي الكثير على العمل القليل .

٣٧- العلي : الذي بلغ أعلى المراتب التي لا يتصورها العقل ، ولا يدركها الفهم .

٣٨- الكبير : الذي لا تستطيع الحواس ولا العقول إدراكه .

٣٩- الحفيظ : الذي يحفظ الأشياء من الخلل والاضطراب ، ويحفظ أعمال العباد ، فلا يضيع منها شيء .

٤٠- المقيت : خالق الغذاء الروحي والمادي .

٤١- الحسيب : الذي يكفي عباده ، أو الذي يحاسبهم يوم القيامة .

٤٢- الجليل : الذي له صفات الجلال لكمال صفاته .

٤٣- الكريم : المعطي من غير سؤال ولا عوض .

٤٤- الرقيب : الذي يراقب الأشياء ويلاحظها .

٤٥- المجيب : الذي يستجيب للداعي إذا دعاه .

٤٦- الواسع : الذي عمت رحمته كل شيء ، ووسع علمه كل شيء .

٤٧- الحكيم : صاحب الحكمة لكمال علمه وإتقانه كل شيء .

٤٨- الودود : المحب الخير لخلقه ، والمحسن إليهم في كل الأحوال .

٤٩- المجيد : البالغ النهاية في المجد والشرف .

٥٠- الباعث : أي باعث الرسل ، وباعث الهمم ، وباعث مَن في القبور .

٥١- الشهيد : العالم بكل مخلوق .

٥٢- الحق : الثابت الذي لا يتغير .

٥٣- الوكيل : القائم بأمور عباده وسائر ما يحتاجون إليه .

٥٤- القوي : صاحب القدرة التامة .

٥٥- المتين : الذي بلغ النهاية في الشدة .

٥٦- الولي : المتولي أمر خلقه لحبه لهم ونصره إياهم .

٥٧- الحميد : المحمود المستحق للثناء .

٥٨- المحصي : الذي لا يغيب عن علمه شيء .
٥٩- المبدئ : المظهر للأشياء من العدم .
٦٠- المعيد : الذي يعيدها بعد عدمها .
٦١- المحيي : خالق الحياة في كل حي .
٦٢- المميت : سالب الحياة من الأحياء .
٦٣- الحي : صاحب الحياة الدائمة .
٦٤- القيوم : القائم بنفسه والمقيم لغيره ، فيه قامت السماوات والأرض.
٦٥- الواجد : الذي يُوجِدُ كل ما أراده ، فلا يحتاج إلى شيء لغناه المطلق.
٦٦- الماجد : مثل المجيد .
٦٧- الواحد : المتفرد ذاتًا وصفاتًا وأفعالاً بالألوهية والربوبية .
٦٨- الصمد : الذي يُقصد في الحوائج .
٦٩- القادر : المنفرد باختراع الموجودات المستغني عن معونة غيره بلا عجز .
٧٠- المقتدر : الذي يقدر على ما يشاء ، ولا يمتنع عليه شيء .
٧١- المقدم : الذي يقدم الأشياء بعضها على بعض في الوجود ، وفي الشرف ، أو في الزمان ، أو في المكان .
٧٢- المؤخر : المؤخر أعداءه بإبعادهم وضرب الحجاب بينه وبينهم .
٧٣- الأول : القديم السابق على كل شيء .
٧٤- الآخر : الباقي بعد كل شيء .
٧٥- الظاهر : الذي أظهر وجوده بآياته .
٧٦- الباطن : الخفي بذاته فلا يعلم ذاته أحد .
٧٧- الوالي : الذي تولى الأشياء وملكها .
٧٨- المتعالي : المنزه عن النقائص .
٧٩- البر : كثير البر عظيم الإحسان .

٨٠- التواب : الذي يوفِّق العصاة للتوبة ، ويقبلها منهم .
٨١- المنتقم : المعاقب لمن يستحق العقوبة .
٨٢- العفو : الماحي لسيئات من أناب إليه .
٨٣- الرؤوف : عظيم الرأفة والرحمة .
٨٤- مالك الملك : الذي تجري الأمور في السماوات والأرض طبق مشيئته وإرادته .
٨٥- ذو الجلال والإكرام : صاحب الشرف والكمال ، ومفيض النعم والآلاء .
٨٦- المقسط : المنصف للمظلومين من الظالمين بعدله .
٨٧- الجامع : الذي يجمع شتات الحقائق المختلفة ، والذي يجمع الناس يوم الدين .
٨٨- الغني : المستغني عن كل ما عداه ، والمفتقر إليه كل من سواه .
٨٩- المغني : المتفضل بإغناء من شاء من خلقه .
٩٠- المانع : الذي يمنع أسباب الهلاك .
٩١- الضار : الذي ينزل عقابه بأعدائه .
٩٢- النافع : الذي عم خيره البلاد والعباد .
٩٣- النور : الظاهر بنفسه والمظهر لغيره .
٩٤- الهادي : الذي هدى وأشرد كل شيء إلى ما يحفظ وجوده .
٩٥- البديع : الذي لا نظير له .
٩٦- الباقي : الدائم الوجود .
٩٧- الوارث : الباقي بعد فناء الموجودات .
٩٨- الرشيد : المرشد لعباده ، والذي تجري تصاريفه لغاياتها بمنتهى الحكمة والسداد .
٩٩- الصبور : الذي لا يتعجل بالعقوبة ، ولا يتعجل بشيء قبل أوانه .

* * *

النبــوَّات

وتشمل صفات الرسل ، ومعجزاتهم ، وكرامات الأولياء وغير ذلك .

٥١- وصِفْ جَميعَ الرُسْلِ بالأَمَانَــةْ والصِّـــدْقِ والتَّبْليـــغِ والفَطَانَــــةْ

- تعريف الرسل والأنبياء :

الرسل : جمع الرسول وهو إنسان ذكر حر من البشر أوحى الله تعالى إليه بشرع ، وأمره بالتبليغ .

والنبى هو : إنسان ذكر حر أو حى الله تعالى إليه ولم يؤمر بالتبليغ .

والنبي إذن لم يأتِ بشرع جديد ، بل جاء لتقرير شرع من كان قبله من الرسل ، فمهمته أشبه بمهمة علماء أمة سيدنا محمد ﷺ .

قال البيضاوي في التفسير : الرسول من بعثه الله بشريعة مجرَّدة يدعو الناس إليها ، والنبي يعمه ، ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام ، وقيل الرسول والنَّبي مترادفان[1] .

والرسول أخص من النبي عند الجمهور ، والنبي أعم من الرسول في اصطلاحهم .

وهم الذي كمَّلهم الله تعالى بصفاء الفطرة ، ونقاء القلب ، وسمو النفس ، وعلو الهمة ، وسلامة العقل ، ونظافة اليد ، وطهارة المنبت ، وجمال الخَلْق والخُلُق ، والظاهر والباطن .

وهم الذين عصمهم الله تعالى من كل ما يتنافى مع مكارم الأخلاق ، ومع المروءة والشرف ، قبل النبوة وبعد النبوة .

---

(١) أنوار التنزيل ، (ج٤ ، ص ٥٧) .

- حاجة البشر إلى الرسل :

إن حاجة الإنسانية إلى الرسل كحاجتها إلى حياتها الآمنة المطمئنة ، إذ لو تركت الحياة الإنسانية تسير وفق ما تمليه العقول ، لعاش الناس في خلاف دائم وفي عراك مستمر ، وفي تنازع لا ينقطع ، ولما اتفقوا على حقيقة واحدة تصلح حالهم ومآلهم ، لأن العقول مختلفة في مقاصدها وغاياتها .

لذا كانت بعثة الأنبياء الذين بلَّغوا عن خالق الإنسان ما يصلحه وما يهديه ضرورة لأفعاله عنها لتجنيب العالم الانغماس في ظلمات الأطماع والأنانية والشرور والعدوان[1].

- عدد الرسل والأنبياء :

وعدد الرسل ثلاثمائة وخمسة عشر رسولاً ، أو ثلاثة عشر ، وقيل ثلاثمائة وسبعة عشر ، وعدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفًا .

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ كَمْ وَفَّي عِدَّةُ الأَنْبِيَاءِ ؟ قَالَ : « مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلاثُمِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا » [مسند أحمد] .

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، كَمِ الأَنْبِيَاءُ ؟ قَالَ : « مِائَةُ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفًا » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، كَمِ الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : « ثَلاثَ مِائَةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا » قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَنْ كَانَ أَوَّلُهُمْ ؟ قَالَ : « آدَمُ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ،

---

(١) العقيدة والأخلاق، محمد سيد طنطاوي « شيخ الأزهر الشريف » ، (ص١٠٥)، ط. دار السعادة (٢٠٠٠م) .

خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، وكَلَّمَهُ قِبَلاً» ثُمَّ قَالَ : يَا «أَبَا ذَرٍّ أَرْبَعَةٌ سُرْيَانِيُّونَ : آدَمُ ، وَشِيثُ ، وَأَخْنُوخُ وَهُوَ إِدْرِيسُ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ ، وَنُوحٌ وَأَرْبَعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ : هُودٌ ، وَشُعَيْبٌ ، وَصَالِحٌ ، وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ» [صحيح ابن حبان] .

أولهم آدم عليه السلام ، وآخرهم سيدنا محمد ﷺ ؛ قال تعالى : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ (النساء:١٦٤) .

- **الرسالة اصطفاء :**

والرسالة والنبوَّة اصطفاء من الله تعالى ، وليست عن طريق الاكتساب ، فهما اجتهد العابد فلن يصل إلى درجة الرسالة أو النبوَّة ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران:٣٣) .

والنبوَّة فضل وهبة من الله تعالى لمن يشاء من عباده ، فلا تنال بالكسب ، ولا بتكلف العبادة واقتحام أشق العبادات والطاعات ، ولا تدرك بتهذيب الروح وبتصفية النفس وتنقية البدن من رزائل الأخلاق، ولا بالوراثة، ولا أثر للذكاء فيها ، ولا تأثير للمجتمع ؛ قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (الحج:٧٥) .

يرسلهم الله تعالى على رأس الأربعين من عمرهم حيث كمال العقل وكمال القوة ، وليس هذا الأمر مختصًا بنبينا ﷺ بل الأنبياء كذلك إلا يحيى وعيسى ـ عليهم السلام ـ فقد بعثا قبل سن الأربعين[1] .

---

(١) راجع شرح الصاوي على جوهرة التوحيد ، (ص ٦١) ، ط. دار ابن كثير، دمشق .

- الإيمان بالرسل والأنبياء :

على المكلف أن يؤمن بهم إجمالاً ، أما تفصيلاً فيجب الإيمان بخمسة وعشرين لذكرهم في القرآن الكريم وهم :

« آدم ، وإدريس ، ونوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وأيوب ، وشعيب ، وموسى ، وهارون ، وذو الكفل ، وداود ، وسليمان ، وإلياس ، واليسع ، ويونس ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ، ومحمد» . عليهم الصلاة والسلام .

قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام:٨٣-٨٦) .

ذكرت الآيات ثمانية عشر نبيًّا ، وذكر الناظم بقيتهم بقوله :

حتْمٌ على كل ذي التكليف معرفـــة	بأنبياء وعلى التفصيل قـــد عُلمـــوا
في تلـــك حجتنـــا منـــهم ثمانيـــة	من بعد عشر ويبقـــى ســـبعة وهـــم
إدريس هود شعيب صـــالح وكـــذا	ذو الكفل آدم بالمختار قـــد ختمـــوا

- التفاضل بين الرسل والأنبياء :

أفضلهم ألو العزم الخمسة : «سيدنا محمد ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ونوح» عليهم الصلاة والسلام ..

ومعنى أولي العزم : أي الذين تحمَّلوا المتاعب وتحمَّلوا الصِّعاب حتى بلَّغوا الرسالات ، واجتهدوا في نشر الدين وإصلاح أحوال العباد بما جاءوا به من هدي .

وهذا التفاضل من حيث العمل أما الإيمان فقد قال تعالى : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ (البقرة:١٣٧) ودليل التفاضل قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ (البقرة:٢٥٣) وما ورد من قوله ﷺ : «لا تفضلوني على يونس ابن متى» فقد قالها قبل أن يعلم أو قالها تواضعًا .

- حكمة إرسال الرسل :

اقتضت حكمته أن يخلق عبادًا يوحدونه فتعرف إليهم بجميع آلائه ، وعظيم مغفرته ورضوانه ، فيهديهم إلى الصراط المستقيم ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويعلمهم طريق معاشهم ومعادهم ، فأرسل إليهم رسلاً منهم أكملهم عقلاً ، وأرجحهم ميزانًا ، وأصوبهم رأيًا ، يرجعون إليهم ، ويستضيئون بنورهم ، ويحكمون أمر دينهم ودنياهم بواسطتهم .

- وحدة دعوة ورسالة الرسل :

وقد جاء الرسل بشريعة واحدة في جوهرها وأصولها ، وأن الخلاف إنما هو في الفروع والجزئيات ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (الشورى:١٣) ، فكلُّ الرسل دعت إلى إخلاص العبادة لله تعالى والتحلِّي بالأخلاق الكريمة ، والبعد عن كل رذيلة والتذكير بيوم الدين .

وهم الذين أتى كل واحد منهم ليتمم ما بناه مَن سبقه ، فيزيد في الإصلاح لبنة ، حتى اكتمل البناء في أجمل وأفضل وأحسن وأتم صورة بخاتمهم وإمامهم وأفضلهم سيدنا محمد ﷺ ، فكان دينه خلاصة الأديان السابقة ، قال رسول الله ﷺ : « إنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ ، إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ ، وَيَقُولُونَ هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ : فَأَنَا اللَّبِنَةُ ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ » [صحيح البخاري] .

- الرسل والأنبياء رجال :

الأنبياء كلهم رجال ، ولم يرسل ربنا تبارك وتعالى رسولاً امرأة أو من الجن ، وآسيا بنت مزاحم زوجة فرعون ، ومريم بنت عمران من الأولياء لا الأنبياء ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ (يوسف:١٠٩) .

- من الواجب للرسل إجمالاً وتفصيلاً :

ويجب على كل مكلف أن يصف جميع الرسل بكل كمال يليق بهم إجمالاً ، أما تفصيلاً فيجب أن يصفهم بـ « الأمانة » ، وهي : حفظ الله تعالى بواطنهم وظواهرهم من التلبس بمنهي عنه ولو نهي كراهة ، وتسمى الأمانة عصمة ، وقد أجمعت الأمة على أمانة الرسل والأنبياء .

وحماية الأنبياء وحفظهم من ارتكاب فعل مكروه أو حرام بل أفعالهم تدور بين الوجوب والاستحباب والجواز ، فهم الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة ؛ قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب:٢١) .

ولا يتصوَّر منهم ضدها وهو الخيانة ، فلو ارتكبوا المحرَّم لاقتدى بهم الناس فهذا محال .

- اجتهاد الرسل :

لا يمنع أن تقع منهم اجتهادات في أمر من الأمر تخالف ما هو الأولى والأفضل ، فيرشدهم الله تعالى إلى ما هو أولى وأفضل فيرجعون عن اجتهاداتهم إلى ما أرشدهم الله تعالى إليه ، ومن المتَّفق عليه بين العقلاء أن هذه الاجتهادات لا تتَّصل بأمور اعتقادية أو خلقية ، وإنما تتَّصل بأمور تتفاوت فيها الأنظار في العادة كشئون الحرب ، وسياسات الأمم ، وغير ذلك من الأمور التي تقبل الاجتهاد .

« الصدق » : وهو مطابقة حكم الخبر للواقع ؛ قال تعالى : ﴿ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ (يس:٥٢) ، ولا يتصوَّر من الرُّسل الكذب وهو عدم مطابقة الخبر للواقع ، فقد أيدهم الله تعالى بالمعجزات التي هي خوارق للعادات ليؤمن الناس أنَّهم مرسلون من ربِّهم وأن دعواهم حق ، ولو جاز على الرسل والأنبياء الكذب للزم الكذب في خبره تعالى وهذا محال .

أنواع الصدق :

١- الصدق في دعوى الرسالة .

٢- الصدق في ما يُبْلِغُونَ عن الله . عز وجل . إلى الناس من الأحكام الشرعيَّة .

٣- الصدق في جميع ما ينطق به مما يتعلَّق بأمور الدنيا .

و« التبليغ » : وهو إيصال الأحكام التي أُمِرُوا بتبليغها إلى المرسل إليهم؛

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (المائدة:٦٧) .

وإذا لم يقم الرسل بتبليغ ما أمرهم الله تعالى بتبليغه لأقوامهم فما فائدة إرسالهم ؟

و« الفطانة » : وهي وحدة العقل وذكاؤه ، التي تساعدهم في إقامة الحجة على الخصوم وإبطال دعاويهم الباطلة ؛ قال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل:١٢٥) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت:٣٣) .

- الرسل والأنبياء صفوة الخلق :

لا بد أن يكون الرسول أو النبي ذا حسب ونسب شريف في قومه ؛ قال تعالى : ﴿ قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ (هود:٩١) ، ولابد أيضًا أن يوصف بمحاسن الأخلاق ، والتَّنَزُّه عن المصالح الشخصية ، والأعراض الزائلة ، وقد استدلَّت السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ بذلك على نبوة رسول الله ﷺ حين جاءها وآثار رؤية سيدنا جبريل عليه السلام ، وبداية نزول الوحي عليه في غار حراء فقالت له: « أَبْشِرْ فَوَاللهِ لا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا ؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ » [صحيح البخاري] .

- فوائد إرسال الرسل :

لبعثة الرسل فوائد لا تحصى منها :

١- أن يقرر الحجة ، ويميط الشبهة ، ويرشد إلى ما يتوقف العقل فيه كبعث الأموات ، وأحوال الجنة والنار .

٢- أن يبين حُسن ما يتوقف العقل فيه ، ويفضل ما حسنه إجمالاً .

٣- أن يعين وظائف الطاعات والعبادات المذكورة للمعبود المتكررة لاستحفاظ التذكر وغيرها .

٤- أن يشرع قواعد العدل المقيم لحياة النوع ، ويعلم الصناعات الضرورية النافعة المكملة لأمر المعاش .

٥- أن يعلم منافع الأدوية ومضارها ، وخصائص الكواكب وأحوالها التي لا يحصل العلم بها إلا بتجربة متطاولة ، لا تفي بها الأعمار .

٦- وأيضًا فالعقول متفاوتة ، والكامل نادر ، فلا بد من معلم يعلمهم ، ويرشدهم على وجه يناسب عقولهم[1].

وظائف الرسل :

١- دعوة الناس إلى عبادة الله وحده .

٢- تبليغ أوامر الله ونواهيه إلى الناس .

٣- هداية الناس إلى الطريق المستقيم .

٤- الرسل قدوة حسنة أمرنا الله تعالى بالاقتداء بهم .

---

(١) طوالع الأنوار ، البيضاوي ، (ص ٣٢٠ ، ٣٢١) ، ط. دار الاعتصام (١٩٩٨م) .

٥- التذكرة بالنشأة والمصير .

٦- تحويل الناس من الاهتمام بالدنيا إلى الاهتمام بالدنيا والآخرة .

٧- جاءت الرسل حتى لا يكون للإنسان حجَّة على الله تعالى يوم القيامة .

فائدة : قال الإمام موسى الكاظم ـ رضي الله عنه ـ : « إن للَّه على الناس حجَّتَين : حجَّة ظاهرة ، وحجَّة باطنة .

فأما الحجَّة الظاهرة فالرسل ، وأما الباطنة فالعقول .

خصائص دعوة الرسل :

١- دعوتهم ربانية بوحي من الله تعالى .

٢- دعوتهم مجانية لا يطلبون من الناس أجرًا .

٣- دعوتهم إخلاص لدين الله وإفراد بالعبودية .

٤- دعوتهم سهلة وبسيطة .

٥- دعوتهم لها هدف وغاية .

٦- دعوتهم تزهِّد في الدنيا وترغِّب في الآخرة .

٧- دعوتهم تركِّز على عقيدة التوحيد ، وتبصر الناس بالأمور الغيبة والإيمان بها مثل : « الجنة ، والنار » .

٥٢- وَيَسْتَحِيلُ ضِدُّهَا عَلَيهِمِ وَجَائِزٌ كَالأَكْلِ فِي حَقِّهِمِ

يستحيل إجمالاً في حق الرسل كل نقص ، وتفصيلاً ضد الصفات الواجبة ، فيستحيل في حق الرسل « الخيانة ، والكذب ، والكتمان ، والبلادة » فيستحيل عليهم الكذب وهو عدم مطابقة الكلام للواقع ، سواء

أكان الكذب عمدًا أم سهوًا أم نسيانًا ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم:٣-٤) ، والكذب معصية ، وهم معصومون منها، وإلا لصار الكذب سنة . معاذ الله تعالى . من ذلك.

ويستحيل عليهم الكتمان وهو عدم تبليغ شرع الله تعالى للناس، فكاتم العلم ملعون توعَّده الله تعالى بالعذاب ، فلا يتصوَّر الكتمان منهم .

ويستحيل عليهم الخيانة وهي عدم صيانتهم وحمايتهم وعصمتهم من ارتكاب الذنوب ، فلو صدرت منهم المعاصي ، فما الفرق بين الرسل وبين عامة الناس ؟

ويستحيل عليهم البلادة وهي عدم الفطانة والعجز عند توصيل المعلومة لنقص في الفهم ، وهي غير متصوَّرة منهم ؛ حيث ثبت بالدليل القاطع أن الرسل أقاموا الحجج على الخصوم ، واقنعوا أقوامهم بما جاء به الشرع ، وخاطبوا الناس بما يفهمون .

من ذلك يتضح أنه يستحيل أن يوصف من اصطفاه الله تعالى من الناس برسالته : أن يوصف بما سبق من صفاتٍ تدلُّ على النقص البشري ، وهو مستحيل في حقهم ، فوجب أن يوصفوا بالصدق ، والتبليغ ، والأمانة ، والفطانة .

- الجائز في حق الرسل :

يجوز في حقهم الأعراض البشرية «كالأكل ، والشرب ، والزواج ، والطلاق» وغير ذلك مما ليس فيه نقص .

أما الأعراض التي فيها نقص «كالجذام ، والبرص ، والصمم ، والعمى» وغير ذلك فمستحيلة عليهم .

فائدة : تقع الأعراض البشرية للرسل وتكون لتعظيم أجورهم ، أو للتشريع ، أو لتسلِّي غير الأنبياء بأحوالهم إذا نزل بهم ما نزل بالأنبياء ، أو لتنبيه غير الأنبياء على خسَّة قدر الدنيا عند الله تعالى ؛ حين يرون الأنبياء أعرضوا عنها ، وانصرفوا عن ملاذِّها ومغانمها .

- عصمة الرسل والأنبياء :

العصمة ملكة نفسانية تمنع عن الفجور ، وتتوقف على العلم بمثالب المعاصي ، ومناقب الطاعات ، وتتأكد في الأنبياء بتتابع الوحي على التذكير، والاعتراض على ما يصدر عنهم سهواً ، والعقاب على ترك الأولى.

وقيل : هي كون الشخص بحيث يمتنع الذنب عنه لخاصيَّة في نفسه أو بدنه[1] .

فالأنبياء معصومون من ارتكاب الذنوب قبل النبوة وبعدها وهو مختار القاضي عياض ـ رحمه الله ـ ، ويجوز في حقهم الأعراض البشرية والأمراض غير المنفرة ، حيث مشاهدة وقوعها بهم ممن عاصرهم وبلوغ ذلك بالتواتر لمن بعدهم وليس بعد العيان بيان ؛ لأنهم عليهم الصلاة والسلام مرضوا وأكلوا وشربوا وتزوجوا ، وهذه الأعراض البشرية . كالمرض مثلاً . تأتيهم لتعظيم أجرهم أو لتشريع الأحكام .

حكم العصمة للأنبياء قبل النبوة :

فالذي ذهب إليه أكثر الأشاعرة وطائفة كثيرة من المعتزلة إلى أنه لا يمنع عقلاً على الأنبياء ـ عليهم السلام ـ معصية كبيرة كانت أو صغيرة .

---

(١) طوالع الأنوار ، البيضاوي ، (ص ٣٢٤) .

وقال بعض أصحابنا . الشافعية . الامتناع بالسمع إذ لا مجال للعقل ، لكن دلَّ السَّمع بعد ورود الشَّرع على أنَّهم كانوا معصومين قبل البعثة .

وذهب الروافض إلى امتناع ذلك كله عليهم عقلاً قبل البعثة ، ووافقهم أكثر المعتزلة في امتناع وقوع الكبائر منهم عقلاً قبل البعثة ، ومعتمد الفريقين التقبيح العقلي ، لأن صدور المعصية منهم مما يحقرهم في النفوس ، ويُنَفِّر الطباع من اتِّباعهم ، وهو خلاف ما اقتضته الحكمة من بعثة الرسل ، فيكون قبيحًا عقلاً[1] .

حكم العصمة بعد النبوة .

فالإجماع على عصمتهم من تعمد الكبائر وصغائر الخسَّة .

(فرع) الأحكام التكليفية الشرعية الخمسة :

وهي « الواجب ، والمستحب ، والجواز ، والكراهة ، والتحريم » .

وأفعال البشر تعتريها هذه الأحكام ، أما أفعال الرسل والأنبياء فلا تعتريها غير الوجوب والاستحباب والجواز ، ولا يتصوَّر منهم فعل المكروه أو المحرم وإلا صار سنة يقتدى به ، لذلك عصمهم الله تعالى من كل فعل مكروه أو محرم .

الشروط الشرعية للرسل :

١- البشرية .
٢- الذكورية .
٣- الحرية .
٤- كمال العقل .
٥- شدة الذكاء .
٦- السلامة من العيوب المنفرة .

(١) شرح السنوسية الكبرى ، السنوسي ، (ص ٣٩٦) ، ط. البصائر .

الشروط العقلية للرسل (المسماة بالواجبات) :

١- الصدق .   ٢- الأمانة .

٣- التبليغ .   ٤- الفطانة .

السهو والنسيان في حق الرسل :

يجوز النسيان في حقهم في الأمور البشرية ، أما النسيان في الأحكام الشرعية فلا يقع منهم .

السَّهو ممتنع على الرسل فيما يبلِّغونه عن الله تعالى ، وفي غيره من الأقوال ؛ لأنه لو وقع منهم لأورث الشبهة في قلوب بعض الضعفاء ، وهو ينافي منصب الرسالة ، أما السهو في الأفعال ، كالسهو في الصلاة وغيرها فهو جائز .

٥٣- إِرْسَالُهُم تفَضُّلٌ ورَحْمَةْ   للعَالَمِينَ جَلَّ مُولِي النِّعْمَةْ

حكم إرسال الرسل :

حكم إرسال الرسل فضل من الله تعالى وليس واجبًا ، فلا يجب عليه تعالى شيء ، وعلى الخلق أن يشكروا المولى تعالى على عظيم نعمته .

فائدة : أوجبت المعتزلة إرسال الرسل .

فائدة : لولا العقل لم تأتِ الرسل ، ولولا الرسل لحار العقل في كثير من السبل ، فباجتماعهما وضحت المحجَّة وقامت الحجَّة .

- تتمة :

المعجــزة

أيَّد الله تعالى الرسل والأنبياء بالمعجزة ، وهي لغةً : مأخوذة من العجز، وهو ضد القدرة ، وشرعًا : أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد مدَّعي النبوة وفق مراده ؛ تصديقًا له في دعواه ، مع عجز جميع المكلفين عن الإتيان بمثله ، كالقرآن الكريم لسيدنا محمد ﷺ ، وعصا موسى عليه السلام ، وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام ، وتكليمه الطير لسليمان عليه السلام .

فائدة : قال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ في التفسير : « بعث الله كل نبي من الأنبياء بمعجزة تناسب أهل زمانه ، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام ، السِّحر وتعظيم السحرة . فبعثه الله بمعجزة بَهَرَت الأبصار وحيَّرت كل سحَّار ، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبَّار انقادوا للإسلام ، وصاروا من الأبرار ، وأما عيسى عليه السلام ، فبُعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة ، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه ، إلا أن يكون مؤيَّدًا من الذي شرع الشريعة ، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد ، أو على مداواة الأكمه ، والأبرص ، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد ؟ وكذلك محمد ﷺ بعث في زمن الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء ، فأتاهم بكتاب من الله ﷻ لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدًا ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وما ذاك إلا لأن كلام الرَّب لا يشبهه كلام الخلق أبدًا» .

حكم الإيمان بالمعجزة : واجب على كل مكلف .

شروط المعجزة :

١- أن تكون فعلاً لله (لأن تصديق مدَّعي الرسالة إنَّما هو من الله تعالى) .

٢- أن تكون خارقة للعادة ، وإلا فما وجه التحدي والإعجاز فيها؟ .

٣- أن يكون ظهورها على يد مدعي النبوة (تصديقًا لما جاء به وتحديًا لقومه) ، وإلا لكانت كرامة أو غير ذلك .

٤- أن تكون مقارنة للدعوة حقيقةً أو حكمًا .

٥- أن تكون موافقة للدعوة .

٦- ألا تكون مكذبة له ، فلو طلب الرسول من ربه أمرًا فحدث خلافه لأدَّى ذلك إلى نتيجة عكسية .

٧- أن تتعذر معارضتها .

وقد أجمع المسلمون على أن أصحاب العقول السليمة لا تمانع في وقوعها .

والإرهاص : أمر خارق للعادة يظهر على يد نبي قبل بعثته ، كتظليل الغمام له ﷺ وعمره اثنا عشر عامًا .

والكرامة : أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد صالح غير مدعٍ للنبوة ، ويسمى صاحبها وليًا ، والولاية اكتساب ، وهي دون النبوة في الفضل ، والكرامة ثابتة في القرآن الكريم ؛ قال تعالى : ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾ (مريم:٢٥) ، وليس شرطًا أن يؤيَّد الولي بالكرامة .

والمعونة : أمر خارق للعادة يظهر على يد بعض العوام تخليصًا لهم من شدة .

والإهانة : أمر خارق للعادة يظهر على يد كاذب مدَّعٍ للنبوَّة على خلاف مطلوبه ، كما كان يقع على يد مسيلمة الكذَّاب .

والاستدراج : أمر خارق للعادة يظهر على يد فاسق مدعٍ للألوهية موافقًا لما يريد ، كالمسيخ الدجال الخارج آخر الزمان .

والسِّحر : هو قواعد يقدر بها على أفعال غريبة بالنظر لمن جهل قواعده، ويمكن تعلمه .

والشَّعوذة : هي خِفَّة اليد بواسطتها يرى الشخص أشياءَ على أنَّها حقيقة ولا حقيقة لها في الواقع ، كما يفعله الحواة .

وغرائب المخترعات : ناشئة عن معرفة بعض خصائص المادة ، كالراديو .

- **تتمة :**

الرسالة المحمدية

أرسل الله تعالى سيدنا محمدًا ﷺ بعدما بلغ الأربعين من عمره إلى الجن والإنس أجمعين ليخرجهم من الظُّلمات إلى النُّور ويهديهم إلى صراط مستقيم ، وقد كانت رسالته ﷺ رحمة للعالمين ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء:١٠٧) .

وقد بشَّرت الأنبياء بمجيء النبي ﷺ وذكر ذلك في الكتب السماوية .

ومدة بعثته ﷺ ثلاثة وعشرون عامًا تشمل العهد المكي ثلاثة عشر عامًا،

والعهد المدني عشرة أعوام نزل فيها القرآن الكريم المعجزة الكبرى الخالدة.

الأدلة على صدق دعوته ﷺ :

عهد الله تعالى لرسوله ﷺ بأن جعله معصومًا قبل النبوة والرسالة ، فلم يصدر من قوله إلا الصدق ، ومن فعله إلا البرّ والتقوى ، ونسبه من أشرف أنساب العرب ، وقومه من أفاضل الناس ، وجعل سيرته حسنة ، وألقى محبته في قلوب الناس ، وعندما بعثه أيده بأدلة قويَّة تدل على صدق دعوته ومنها :

- القرآن الكريم الذي تحدَّى به البلغاء والشعراء والعرب على أن يأتوا بسورة من مثله ، فعجزوا جميعًا مع كون رسول الله ﷺ لم يتعلم القراءة والكتابة ولم يجالس العلماء .

- جاء بكتاب عجزت العرب على أن تأتي بسورة مثله مع أن النبي ﷺ أمي لم يتعلم القراءة والكتابة وهنا تكون المعجزة .

- إخباره بالأمم السابقة وحكايات الأولين مع أنه لم يحضر مجالس العلم ولم يسمع للقصاصين ، وقد أخبر بأمور كثيرة غيبية وقد حدثت كلها مثل : (هزيمة الروم وبعدها تنتصر) ؛ قال تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾ (الروم:١-٣) .

- تكلَّم في آيات كونية عظيمة لا يعرفها أحد تتعلَّق بالكواكب والنجوم والشمس والقمر ، والقرآن به حوالي ثمانمائة آية كونية ؛ قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ (النحل:١٢) ، وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ

كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (الأنبياء:٣٠-٣٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس:٣٧-٤٠) .

- تحدث في تكوين الإنسان ومراحل خلقه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم يكون عظامًا ثم يُكسى لحمًا ثم يُنفخ فيه الروح ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾

(المؤمنون:١٢-١٤) .

خصائص الرسالة المحمدية

اختصَّ الله تعالى الرسول ﷺ دون غيره بخصائص منها :

١- دعوته عامَّة : فهي لكلِّ البشر ؛ عربًا كانوا أم عجمًا ، ولم يُرسِل إلى الجنِّ أحدًا إلا رسول الله ﷺ ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبأ:٢٨) .

٢- شريعته صالحة لكلِّ زمان ومكان : فكلّ رسالة قبل رسالة الإسلام صالحة لقومها ومحدّدة بزمنها ، أما الإسلام فقدجاء بكل ما تحتاج إليه البشريَّة إلى قيام الساعة .

٣- خاتم النبيين وخاتمة الشرائع : رسول الله ﷺ آخر الأنبياء والمرسلين ، وكل من ادَّعى النبوة بعده دجال كاذب ، وشريعته خاتمة الشرائع فلا وحي بعد وحي رسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الأحزاب:٤٠)، وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ ، إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ ، وَيَقُولُونَ : هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ ؟ قَالَ : فَأَنَا اللَّبِنَةُ ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ» [صحيح البخاري ، وصحيح مسلم] .

٤- شريعته ناسخة لما قبله من الشرائع : فقد اشتمل الإسلام على كلِّ ما في غيره من الخير والمصلحة فالقرآن نسخ ما سبقه من كتب سماوية فهو بحق كتاب جامع .

٥- جعل الله الرعب في قلب كل من أراد حرب رسول الله ﷺ .

٦- جعل الله له ﷺ الأرض مسجداً وطهوراً .

٧- أحلَّ الله له ﷺ ولأمته الغنائم (مكاسب الحرب) .

٨- أعطاه الله تعالى الشفاعة العظمى يوم القيامة .

٩- فضَّله الله على كلِّ الخلق وجعله رحمة للعالمين .

١٠- جعل الله أمته خير الأمم ، وجعلها نصف أهل الجنة ، وأوَّل من يدخلها ، وأوَّل من يعبر الصِّراط ، قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠) .

من معجزاته ﷺ :

١- القرآن الكريم (المعجزة الخالدة الباقية) : قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء:٨٨) .

٢- انشقاق القمر : قال تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ (القمر:١) ، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : « أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ الله ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً ، فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شِقَّتَيْنِ ، حَتَّى رَأَوْا حِرَاءً بَيْنَهُمَا » [صحيح البخاري] .

٣- نبع الماء من بين أصابعه ﷺ : عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ فَجَهَشَ النَّاسُ نَحْوَهُ ، فَقَالَ : « مَا لَكُمْ » ؟ . قَالُوا : لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ وَلَا نَشْرَبُ إِلاَّ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَثُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ ، فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا . قُلْتُ كَمْ كُنْتُمْ قَالَ لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا ، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً . [صحيح البخاري] .

٤- حنين الجزع إليه وكلامه له ﷺ : عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : كَانَ جِذْعُ نَخْلَةٍ فِي الْمَسْجِدِ يُسْنِدُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ظَهْرَهُ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ يَوْمُ جُمُعَةٍ أَوْ حَدَثَ أَمْرٌ يُرِيدُ أَنْ يُكَلِّمَ النَّاسَ فَقَالُوا أَلا نَجْعَلُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ شَيْئًا كَقَدْرِ قِيَامِكَ قَالَ : « لا عَلَيْكُمْ أَنْ تَفْعَلُوا »، فَصَنَعُوا لَهُ مِنْبَرًا ثَلاثَ مَرَاقِيَ ، قَالَ : فَجَلَسَ عَلَيْهِ ، قَالَ : فَخَارَ الْجِذْعُ كَمَا تَخُورُ الْبَقَرَةُ جَزَعًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَالْتَزَمَهُ وَمَسَحَهُ حَتَّى سَكَنَ . [مسند أحمد] .

٥- كلام بعض الحيوانات له ﷺ كالجمل : عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ : أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لا أُخْبِرُ بِهِ أَحَدًا أَبَدًا وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ فِي حَاجَتِهِ هَدَفٌ أَوْ حَائِشُ

نَخْلٍ فَدَخَلَ يَوْمًا حَائِطًا مِنْ حِيطَانِ الأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ قَدْ أَتَاهُ فَجَرْجَرَ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ ـ قَالَ بَهْزٌ وَعَفَّانُ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ ـ فَمَسَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرَاتَهُ وَذِفْرَاهُ فَسَكَنَ فَقَالَ: «مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ؟»، فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: هُوَ لِي يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: «أَمَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَهَا اللهُ إِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ» [مسند أحمد].

٦- سلام الحجر عليه ﷺ: عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لأَعْرِفُهُ» [صحيح مسلم].

٧- احترام الوحوش له ﷺ: عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ: «كَانَ لآلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَحْشٌ إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اشْتَدَّ وَلَعِبَ وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ فَإِذَا أَحَسَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ دَخَلَ رَبَضَ فَلَمْ يَتَرَمْرَمْ كَرَاهِيَةَ أَنْ يُؤْذِيَهُ» [مسند أحمد].

٨- شفاء المريض ببركة دعائه ﷺ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلاً يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ». قَالَ فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟»، فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ. [صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وأحمد].

٩- الإسراء والمعراج ، قال تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١) .

١٠- إخباره بالغيب : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّـهُ قَـالَ : قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ : « إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلا كِسْرَى بَعْدَهُ ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلا قَيْصَـرَ بَعْـدَهُ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّـدٍ بِيَـدِهِ لَتُـنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَـا فِـي سَـبِيلِ اللهِ» ، [صحيح البخاري] ، وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ أَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْحَسَنَ فَصَعِدَ بِـهِ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَقَالَ : « ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ »، [صحيح البخاري] .

- تتمة : ويجب على كل من يؤمن بالرسالة المحمدية أن يؤمن بكل ما علم من الدين بالضرورة ، كمناسك الحج ، والصلوات الخمس وعدد ركعاتها ، وصوم نهار رمضان ، وكون القبلة إلى بيت الله الحرام الذي هو بمكة مباركًا ، وكون الوقوف بعرفة ، فإن كل هذا قد وردت به الأخبار متواترة عن النبي ﷺ ، وانعقد عليها الإجماع من بعده ، وتواتر الإجماع عليها ، مما لا يدع مجالاً لأي احتمال أو ظن ، وصارت من العلم الضروري الذي لا يسع مسلمًا أن يجهله ، أو كما عبر الإمام الشافعي رضي الله عنه : «بأنه علم العامة ، لا يختص به العلماء دون الجهلاء ، ولا ينفرد بالعلم به قوم دون قوم ، بل إن العلم به سواء ، لأنه إطار الإسلام الذي يعد الخارج عنه خارجًا عن الإسلام[1] .

---

(١) العقيدة الإسلامية ، الإمام محمد أبو زهرة ، (ص٨٠ ، ٨١) ، ط. سلسلة البحوث الإسلامية (١٩٦٩م) .

السمعيات

وهي تشمل الأمور التي جاءت عن طرق النقل (القرآن والسنة) ، وهي الغيبيات التي لا يستقل العقل بإدراكها وحده ، لأنها لا تدخل في عداد القضايا التي تدرك بالحواس عن طريق البصر ؛ وإنما عن طريق التصديق بالقلب ، والاعتقاد الذي تطمئن إليه النفس ويمتليء به القلب ، لأن تحقيق الإيمان بالله يقتضي الإيمان باليوم الآخر لتكامل أركان الإيمان في ذات الإنسان ، ومن هنا اتَّسمت هذه القضايا المستفادة من هذا الطريق بالسمعيات ، لأنَّها وراء المادة المدركة بالحواس[1].

فالسمعيات إذن : هي الأمور التي لا تؤخذ إلا من طريق الوحي ، ولا يستقل العقل بمعرفتها .

والإيمان بالغيب وبتلك السمعيات دليل على قوة الإيمان ، وسلامة الفطرة .

٥٤- ويَلْـزَمُ الإيمَـانُ بالحِسَـابِ والحَشْـرِ والعِقَـابِ والثَّـوَابِ

الحساب :

ويجب على المكلف أن يؤمن إيمانًا قاطعًا بالحساب ، وهو لغة : العدّ، واصطلاحًا : محاسبة الله تعالى عباده على أعمالهم ، ويكون الحساب في أرض المحشر يوم القيامة ، وهو آخر أيام الدنيا ، وينتهي بدخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، ومقداره خمسون ألف سنة ، تمر على أهل الجنة بمقدار صلاة ركعتين ، وهناك من يدخل الجنة من غير حساب ، كالرسل والأنبياء ومن غيرهم كأبي بكر ﵁ ، وسبعين ألفًا وثلاث حفنات

(١) دراسات في النبوات والسمعيات أ. د. علي معبد ، أ. د. سامي عفيفي ، (ص٦٠) .

من حفنات الله ﷻ ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر:١٠) .

- أول من يحاسب :

أول من يحاسب من الأمم أمة سيدنا محمد ﷺ ، وأولهم محاسبة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وهو مبشر بالجنة ، فإنه أوَّل من يأخذ الكتاب باليد اليمنى، وأوَّل من يأخذ كتابه بشماله الأسود بن عبد الأسد ، لأنَّه أول من بادر الرسول ﷺ بالحرب يوم بدر في العام الثاني الهجري .

- كيفية الحساب :

مختلفة كلٌّ حسب عمله ، والحساب يكون للمؤمنين والكافرين من المكلفين البشر والجن ، ولا يحاسب الأنبياء والرسل .

وهناك من يدخلون الجنة من غير حساب قال ﷺ : « يَدْخُلُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ » ؛ قيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : « هُمُ الَّذِينَ لا يَكْتَوُونَ وَلا يَسْتَرْقُونَ وَلا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » [أخرجه البخاري] .

- الحكمة من الحساب :

إظهار تفاوت فضائل عباد الله المتقين ومساوئ العصاة من الخلق ؛ قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ (الانشقاق:٧-١٢) .

فأهل الجنة يأخذون الكتاب باليد اليمنى ، وهو الصحف التي كتبتها الملائكة في الدنيا « ملك الحسنات رقيب ، وملك السيئات عتيد » ، وكانت تُرفع إلى الله تعالى كل يوم خميس ، وتوضع في خزانة تحت عرش الرحمن ، ويوم القيامة تتطاير الصحف لتقف كل صحيفة أمام رقبة صاحبها ، قال تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (الإسراء:١٣-١٤) .

فائدة : ذكر العلامة عبد السلام ـ رحمه الله ـ في شرحه على جوهرة التوحيد « أن القراءة حقيقية » ، وأوَّل ما يقرأ المؤمن من صحيفته حسناته فيبضّ وجهه ، وأما الكافر ضد ذلك ، ويقرأ كل أحد كتابه ، ولو كان أميًا ، فمنهم من يكتفي بقراءة نفسه ، ومنهم من يدعو الناس لقراءته . إعجابًا ممَّا فيه ، والجن كالإنس في ذلك .

والحشر : هو سوق الخلائق إلى الموقف بأجسادهم وأرواحهم ؛ قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ (ق:٤٤) .

حكم الإيمان بالحشر :

الإيمان به واجب ، وهو من ضروريات الدِّين ، وإنكاره كفر .

مراتب الناس في الحشر :

مختلفة ؛ فمنهم الراكب ، ومنهم الماشي ، ومنهم الماشي على وجهه وهو الكافر ؛ قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (البقرة:٢٠٣) .

مسألة : عَنْ الأَطْفَالِ وَالسِّقْطِ ، هَلْ يَأْتُونَ إِلَى الْمَحْشَرِ رُكْبَانًا كَالْمُتَّقِينَ أَمْ لا؟

(الجواب) نَعَمْ يَأْتُونَ الْمَحْشَرَ رُكْبَانًا كَالْمُتَّقِينَ[1] .

صور الناس يوم الحشر :

لهم صور كثيرة مختلفة بحسب أعمالهم .

أرض المحشر :

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (إبراهيم:٤٨) ، وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُول الله ﷺ : «يَحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ» [البخاري] ، أي أرض بيضاء تميل إلى الحمرة قليلاً مثل قرص الخبز المنخول .

والعقاب حيث يعاقب العاصي فيعذَّب في قبره ، ثم يدخل النار يوم القيامة ، ومنهم من يغفر الله لهم فيدخلون الجنة ، والعذاب للروح والجسد؛ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ : « إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَان وَمَا يُعَذَّبَان فِي كَبِيرٍ ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنْ الْبَوْلِ ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ» ، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ : لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا. [صحيح البخاري] .

فائدة : محل العقاب الروح والجسد .

---

(١) فتاوى الرملي ، ص ٦٥٥ .

والثواب حيث يثاب الطائع بالنعيم في قبره ، والجنة يوم القيامة .

والعقاب له صور مختلفة ، وكذلك الثواب ، وكل بحسب عمله ورحمة الله تعالى فوق الجميع ، ولن يدخل الجنة أحد بعمله ، بل بفضل الله تعالى.

٥٥- والنَّشْرِ والصِّـراطِ والمِيـزَانِ   والحَـوضِ والـنِّيرانِ والجِنَـانِ

النشر : هو البعث ، وهو إحياء الله تعالى الموتى من قبورهم .

والنشر يحصل بأن يجمع الله تعالى أجزاء الموتى بعد أن يُعدم الجسم ؛ قال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (الأعراف:٢٩) [الأعراف : ٢٩] ، والذي لا يفنى من الجسد عجب الذنب ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « كُلُّ بَنِي آدَمَ وَفِي حَدِيثِ مُغِيرَةَ كُلُّ ابْنِ آدَمَ ، يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ» [مسلم].

فائدة : الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء والشهداء .

أول من يبعث في يوم الحشر :

أوَّل من يبعث سيدنا محمد ﷺ ، ثمَّ الرُّسل والأنبياء ، وأوَّل من يبعث بعدهم أبو بكر الصديق ﷺ ثمَّ عمر بن الخطاب ﷺ ، ثمَّ مقبرة البقيع بالمدينة المنورة ، ثمَّ مقبرة المعلاة بمكة المكرمة ، ثمَّ باقي الأمة المحمدية ، ثمَّ باقي الأمم ؛ قال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ (الأنبياء:١٠٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ (الحج:٧) .

والصراط لغةً : الطريق الواضح ، وشرعًا : هو الجسر الممدود على متن جهنم بين أرض الموقف والجنة ، وهو طريق واضح يختلف ضيقًا واتِّساعًا باختلاف الأعمال ، وهو أدقُّ من الشَّعرة وأَحَدُّ من السيف ، وعلى حافتي

الصراط كلاليب معلَّقة لأخذ من أمرت به ؛ ليقع في جهنم ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴾ (المؤمنون:٧٤) .

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أَنَّهَا ذَكَرَتِ النَّارَ فَبَكَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَا يُبْكِيكِ» ؟ قَالَتْ : ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَمَّا فِي ثَلاثَةِ مَوَاطِنَ فَلا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا : عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَوْ يَثْقُلُ وَعِنْدَ الْكِتَابِ حِينَ يُقَالُ (هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ) حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ أَفِي يَمِينِهِ أَمْ فِي شِمَالِهِ أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ» [سنن أبي داود] .

حكم الإيمان بالصراط :

الإيمان به واجب .

الحكمة من الصراط :

الحكمة من مرور الناس على الصراط ظهور النجاة من النار ، وأن يتحسَّر الكفَّار بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم في المرور[1] .

أحوال المارين على الصراط :

منهم من يمر على الصَّراط كلمح البصر ، ومنهم كالبرق الخاطف ، ومنهم كالريح العاصف ، ومنهم كالطَّير ، ومنهم كالجواد السَّابق ، ومنهم يسعى سعيًا ، ومنهم من يمشي ، ومنهم من يمر عليه حبوًا ، ومنهم من يسقط في جهنَّم والعياذ بالله .

---

(١) حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد .

أوَّل من يمر على الصراط :

يمر على الصراط الأنبياء فيقولون «اللهم سلِّم سلِّم» ، وأوَّل من يمر على الصِّراط سيِّدنا محمَّد ﷺ ومعه أمته ، ومن يدخلون الجنة من غير حساب .

والميزان : حيث توزن أعمال الخلق قبل الصراط ، والميزان توزن عليه أعمال كل من يحاسب ، أما من يدخلون الجنة من غير حساب فلا ميزان لهم؛ قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۞ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۞ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ (القارعة:٦-١١) ، وهو ميزان حقيقي وواحد لجميع الأمم توَّزع عليه الكتب التي اشتملت عليها أعمال العباد في الدنيا .

فائدة : قيل وزن الأعمال بعد الصراط[1] .

حكم الإيمان بالميزان :

الإيمان به واجب .

تنبيه : الميزان فرع عن الحساب ، فلا توزن أعمال الأنبياء ولا الملائكة ، ولا من يدخل الجنة بغير حساب[2] .

فائدة : الميزان علامة لأهل السعادة والشقاوة ، وتعريف العباد ما لهم وما عليهم من الخير والشر ، وإقامة الحجة عليهم ، وامتحان العباد بالإيمان بالغيب .

---

(١) فتاوى الرملي ، ص ٦٥٣ .

(٢) القول السديد ، شرح جوهرة التوحيد ، علي عثمان جرادي ، (ص١٣٥) ، دار الكتب العلمية .

قَدْ وَرَدَ أَنَّ الْمِيزَانَ ذُو لِسَان وكِفَّتَيْنِ ، وَأَنَّ كِفَّةَ الْحَسَنَاتِ مِنْ نُور وكِفَّةَ السَّيِّئَاتِ مِنْ ظُلْمَةٍ وقَدْ ورَدَ أَيْضًا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَوْزُونَ أَعْمَالُ الأَشْخَاص بِأَنْ تَصِيرَ جَوَاهِرَ ومَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَوْزُونَ صُحُفُهَا ، وَرَجَّحَ كُلاًّ مِنْهُمَا جَمَاعَةٌ . والله أعلم بحقيقته[1].

والحوض : هو جسم مخصوص ، يصبُّ فيه ميزابان من ماء الكوثر ، تَرِدُه الأمة المحمدية ، من شرب منه شربةً لا يظمأ بعدها أبدًا .

والشرب في الجنة ليس على سبيل العطش ؛ بل هو شرب لذَّة ومتعة ونعيم .

قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا ، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً » [أخرجه الترمذي] ؛ أما رسول الله ﷺ فقد خصَّ بحوضٍ عظيم بشرب منه أتباعه « حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْر ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ ، وَمَاؤُه أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِق ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، وكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا » [البخاري، ومسلم] .

حكم الإيمان بالحوض : الإيمان به واجب .

أين حوض رسول الله ﷺ :

الجمهور على أن محل الحوض قبل الصراط لشرب الناس منه بعد خروجهم من قبورهم عطشى ، وقيل : محله بعد الصراط ؛ لأن ماءه من الكوثر لشرب الناس منه حينما يحبسون بعد الصراط للقصاص فيما بينهم ، وصح عن القرطبي أنه له ﷺ حوضين .

---

(١) فتاوى الرملي ، (ص ٦٥٥) .

وقال بعضهم : إن له في الجنة نهرًا لا حوضًا ، وهذا النهر هو الكوثر ، سمِّي بذلك لكثرة مائه وأكوابه ، **ومعنى الكوثر** العدد الكثير والخير العظيم.

عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - : « الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ ، حَافَّتَاه مِنْ ذَهَبٍ» [سنن الترمذي] .

والنيران : جمع نار ، وهي دار العقاب للكفار والعصاة ولن يخلد فيها مسلم ، **والنار** : جسم لطيف محرق يميل إلى جهة العلو .

وهي مخلوقة الآن وباقية ، وهي دركات كثيرة لا يعلمها إلا الله تعالى، **خازنها** : مالك ، وأبوابها : سبعة ، وطعامها : شجر الزقوم ، وماؤها : صديد أجسام أهل النار ، ومناخها : حر لا يطيقه أحد ، وأهلها : الكفار والعصاة ، وأسماؤها : « جهنم ، وسقر ، وزمهرير ، وغَيّ ، وسعير ، وهاوية ، ولظى » ؛ قال تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ** ﴾ (البينة:٦) . والنار تحت الأرضين .

والجنان : جمع جنة ، وهي لغة : البستان ، وهي دار النعيم في الآخرة ، عرضها كعرض السماء والأرض ، وسقفها عرش الرحمن ، فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وهي مخلوقة وموجودة الآن وباقية ؛ قال تعالى : ﴿ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ (آل عمران:١٣٣) ، وأوَّل من يدخلها سيِّدنا محمَّد ﷺ ومعه أمته ، وهم نصف أهل الجنة ، ومن يدخلها لا

يخرج منها أبدًا ، حيث لا موت ولا ملل ولا نوم ولا تعب فيها ، وخازنها : رضوان ، وعرضها : السَّموات والأرض ، وسقفها : عرش الرحمن ، وهي كثيرة الأنهار ، وأوانيها : من ذهب وفضة ، وطعامها : أطيب الطعام مختلف الألوان ، وعرق أهل الجنة المسك ، وأبوابها : ثمانية ، وأسماؤها : « دار السلام ، ودار النعيم ، ودار الخلد ، وجنة عدن ، والفردوس ، وجنة المأوى ، والجلال ».

والجنة في السماء السابعة لقوله تعالى : ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ (النجم:١٤-١٥) ، قال ﷺ : « إنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ » . [صحيح البخاري] .

أبواب الجنة الكبار ثمانية :

« باب الشهادتين ، وباب الصلاة ، وباب الزكاة ، وباب الرَّيان ، وباب الحج ، وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وباب الصلة ، وباب الجهاد في سبيل الله » .

بناء الجنة :

لبنة من فضة ولبنة من ذهب ، وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران .

من يدخلها لا يموت ولا يفتقر ، ولا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، لا شمس فيها ولا حر ولا برد .

وأخرج البيهقي عن عبد الله بن أبي أوفى قال : سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : النَّوْمُ مِمَّا يُقِرُّ اللهُ بِهِ أَعْيُنَنَا فِي الدُّنْيَا ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ الْمَوْتَ شَرِيكُ النَّوْمِ ، وَلَيْسَ فِي الْجَنَّةِ مَوْتٌ » ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، فَمَا رَاحَتُهُمْ ؟ قَالَ رَسُولُ ﷺ : « إِنَّهُ لَيْسَ فِيهَا لُغُوبٌ ، كُلُّ أَمْرِهِمْ رَاحَةٌ » فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عِنْدَ ذَلِكَ : ﴿ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ (فاطر:٣٥) .

ولباس أهلها الحرير ، قال تعالى : ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (الحج:٢٣) .

وحليتهم الذهب والفضة واللؤلؤ ، قال تعالى : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ (فاطر:٣٣) .

وأوانيها الفضة ، قال تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ ﴾ (الإنسان:١٥).

وصحافها من ذهب ، قال تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ ﴾ (الزخرف:٧١)[1] .

٥٦- والجِنِّ والأَمْلاكِ ثُمَّ الأَنبِيَا   وَالحُورِ وَالوِلْدَانِ ثُمَّ الأَوْلِيَا

ويجب الإيمان بالجن ، وهم أجسام لطيفة نارية ، لهم قدرة على التشكُّلات الحسنة أو القبيحة ، خلقوا قبل آدم عليه السلام بألفي عام ، وهم من المكلَّفين ، يتناسلون وينامون ويمرضون ويتناكحون ويموتون ويتحاربون ، منهم الذكر ومنهم الأنثى ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات:٥٦)، وهم يسكنون الأرض والجبال والبحار .

---

(١) شرح العلامة إسماعيل الحامدي على العقيدة الصغرى للدردي ، (ص ٥١)، ط. الحلبي (١٩٣٩م) .

ومنهم المؤمن والعاصي ، وأبوهم إبليس لعنه الله تعالى ، واسمه عزازيل؛ قال تعالى : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ۝ وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ (الجن:١٤-١٥).

قدرة الجن على التشكيل :

الجن قادرة على التشكُّل بأشكال حسنة أو قبيحة ، فإذا تشكَّلت بشكل حكمت فيه ، ولا تستطيع الجن أن تتشكَّل برسول الله ﷺ ؛ روى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَمَثَّلُ بِي » .

مراتب الجن :

١- إذا ذكر الجن خالصًا ، قالوا : « جنِّي » .

٢- فإن كان ممن يسكن مع الناس ، قالوا : « عامر والجمع عُمَّار » .

٣- إن كان ممن يعرض للصبيان ، قالوا : « أرواح » .

٤- إن خَبُثَ واشتدَّ ضرره فهو « شيطان » .

فائدة : لفظ « شيطان » مأخوذ من الفعل « شطن » بمعنى « بَعُدَ » ، لأنه بعيد بطبعه عن كل خير ، وقد تكرر لفظ « الشيطان » في القرآن الكريم سبعين مرة ، وتكرر بلفظ الجمع « شياطين » سبع عشرة مرة ، وكل آية ورد فيها هذا اللفظ فيها تحذير للمؤمنين من غوايتهم وشرهم .

فائدة : أثنى النَّبي ﷺ على الجن المؤمن عندما قرأ سورة الرحمن ؛ فعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا فَقَالَ : « لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةَ الْجِنِّ ،

فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ ، كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن:١٣) قَالُوا : لا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ ، فَلَكَ الْحَمْدُ» [سنن الترمذي] .

فائدة : قيل إن الجن إذا خبث فهو «شيطان» ، وإن زاد خبثه فهو «مارد»، وإن زاد فهو «عفريت» .

الملائكة

والأملاك ، أي الملائكة : أجسام نورانية لطيفة لها قدرة على التشكُّلات ، لا يوصفون بالأنوثة ولا الذكورة ، ولا يتناسلون ولا يمرضون ولا ينامون ، ليس لهم أب أو أم أو ذرية ، فنؤمن بهم إجمالاً ، وتفصيلاً نؤمن بعشرة هم: «جبريل (الموكَّل بالوحي ورئيس الملائكة) ، وميكائيل (الموكَّل بالأرزاق والبحار والأمطار) ، وإسرافيل (الموكَّل بالنفخ في الصور) ، وملك الموت (الموكَّل بقبض الأرواح) ، ورضوان (خازن الجنة) ، ومالك (خازن النار) ، ورقيب (ملك كتابة الحسنات) ، وعتيد (ملك كتابة السيئات) ، ومنكر ، ونكير (اللَّذان يسألان الإنسان في قبره عن ربه ودينه ورسوله ـ ﷺ ـ ؛ قال تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ (فاطر:١) .

عدد الملائكة :

عددهم كثير ولا يحصيه إلا الله تعالى ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (المدثر:٣١) .

عصمة الملائكة :

الملائكة معصمون لا يرتكبون المعاصي ، قال تعالى : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم:٦) ، من وصفهم بالذكورة فهو فاسق ، ومن وصفهم بالأنوثة كافر ، والإيمان بهم واجب .

فائدة : ثبت أن الديكة ترى الملائكة ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :« إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيكَةِ فَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ ؛ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا ، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ ؛ فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا » [صحيح البخاري] .

مساكن الملائكة :

مسكن الملائكة السماء ، ومنهم من يسكن الأرض أو ينزل إليها .

وظائف الملائكة :

١- إبلاغ كلام الله تعالى إلى الرسل والأنبياء .

٢- القيام بشئون النار .

٣- رعاية أهل الجنة .

٤- حملة العرش .

٥- المحافظة على الإنسان .

٦- مراقبة أعمال المكلفين .

٧- قبض الأرواح .

فائدة : خلق الله تعالى للملائكة أجنحة مثنى وثلاث ورباع وأكثر من ذلك كما أخبرنا الله تعالى في كتابه ، وليس لنا علم بتفاصيل هذه الأجنحة

أو كيفيتها ، إذ الملائكة محجوبون عنا بإرادة الله وحكمه ، ولم يُفصِّل القرآن الخبر عن ذلك ، قال تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴾ (فاطر:١) [1] .

مسألة : عَنْ الْمَلائِكَةِ هَلْ كُلُّهُمْ مُطَّلِعُونَ عَلَى مَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَمْ بَعْضُهُمْ وَإِذَا قُلْتُمْ بَعْضُهُمْ فَهَلْ هُمْ مُعَيَّنُونَ ؟

الجواب : لَيْسَ كُلُّ الْملائِكَةِ مُطَّلِعِينَ عَلَى مَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ رَاكِعٌ لا يُقِيمُ صُلْبَهُ وَمِنْهُم مَنْ هُوَ سَاجِدٌ لا يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعْلُومٞ ﴾ (الصافات ١٦٤) أَيْ مَقَامٌ فِي الْعِبَادَاتِ وَالانْتِهَاءِ إِلَى أَمْرِ اللهِ مَقْصُورٌ عَلَيْهِ لا يَتَجَاوَزُهُ وَمِنْهُم مَنْ شَأْنُهُ الاسْتِغْرَاقُ فِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَالتَّنَزُّهِ عَنْ الاشْتِغَالِ بِغَيْرِهِ كَمَا وَصَفَهُمْ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ فَقَالَ : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ (الأنبياء:٢٠) وَهُمْ الْعِلِّيُّونَ وَالْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ، وَمَنْ يَجُوزُ أَنْ يَنْظُرَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مِنْ الْمَلائِكَةِ لَيْسَ بِمُعَيَّنٍ ، وَأَمَّا الاطِّلاعُ عَلَى مَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ لأَجْلِ الإِيحَاءِ وَإِنْفَاذِ الأَمْرِ فَمُخْتَصٌّ بِإِسْرَافِيلَ وَجَبْرَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ [2].

الحفظة والكتبة : يجب الإيمان بأن على العبد حفظة وكتبة من الملائكة، موكَّلون بحفظه من المضار ؛ قال تعالى :﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ (الرعد:١١) ، والحفظ للإنس والجن .

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة ، أ. د على جمعة ، (ص ١٨٠) ، ط. المقطم .
(٢) فتاوى الرملي الصغير ، (ص ٦٤٦) ، ط. دار الكتب العلمية (٢٠٠٤م) .

والكتبة هم ملائكة يكتبون كل ما يصدر عن العباد من أعمال ؛ حيث يأتى العَبْدَ ملكان عند صلاة الصبح الأول «رقيب» ملك الحسنات ، والآخر «عتيد» ملك السيئات ، و«رقيب» أعلى رتبة من الآخر فلا يكتب «عتيد» سيئة إلا بعد الإذن من ملك الحسنات الذي يمهل الإنسان مدة حتى يتوب إلى الله تعالى من المعصية ، وعند صلاة العصر تفارقه الكتبة فيأتي غيرهما من صلاة العصر إلى صلاة الصبح ؛ فهم أربعة من الملائكة ؛ قال تعالى : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق:١٨) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الانفطار:١٠-١٢) ، والكتبة حقيقية .

فائدة : معنى «الرقيب» أي الحافظ ، ومعنى «العتيد» أي الحاضر معه أينما كان .

أقسام الكتبة :

١- كاتبون على العباد أعمالهم في الدنيا .

٢- كاتبون من اللوح المحفوظ ما في صحف الملائكة الموكَّلين بالتصرُّف في العالم كل عام .

٣- كاتبون من صحف الملائكة كتابًا يوضع تحت العرش .

وترفع الصحف كل يوم خميس لتوضع في الخزانة التي هي تحت العرش، لذلك كان رسول الله ﷺ يصوم يوم الخميس ، لأنَّه ﷺ يحب أن يرفع عمله وهو صائم .

حكاية : كان إبراهيم النخعي ـ رحمه الله ـ يصوم يوم الخميس هو وزوجته ويبكي ، وعندما سئل عن ذلك أجاب : لعلَّ الله تعالى إذا اطَّلع

على ما في الصحف وهو أعلم بما فيها ، فوجد ذنبًا ، فينظر إلى حالي فيراني صائمًا باكيًا ، فيكون ذلك أرعى لأن يغفر لي .

- **مصير رقيب وعتيد بعد وفاة الإنسان :**

إِذَا مَاتَ الشَّخْصُ اسْتَأْذَنَا رَبَّهُمَا فِي صُعُودِهِمَا السَّمَاءَ فَيَقُولُ إِنَّ سَمَاوَاتِي مَمْلُوءَةٌ مِنْ خَلْقِي يُسَبِّحُونَ فَيَقُولانِ يَا رَبَّنَا فَأَيْنَ نَكُونُ ؟ فَيَقُولُ : قُومَا عَلَى قَبْرِ عَبْدِي فَكَبِّرَانِي وَهَلِّلانِي وَاذْكُرَانِي وَاكْتُبَا ذَلَكَ لِعَبْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ[1] .

فائدة : كل إنسان يأخذ كتابه يوم القيامة إلا الأنبياء ومثلهم الملائكة لعصمتهم ، ومن يدخل الجنة من غير حساب .

ثم الأنبيا : فيجب الإيمان بكلِّ نبي ورسول إجمالاً ، وتفصيلاً نؤمن بخمسة وعشرين وهم : « آدم ، وإدريس ، ونوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وأيوب ، وشعيب ، وموسى ، وهارون ، وذو الكفل ، وداود ، وسليمان ، وإلياس ، واليسع ، ويونس ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ، ومحمد» . عليهم الصلاة والسلام .

قال تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (البقرة:٢٨٥) .

(١) فتاوى الرملي ، (ص ٦٩٥ ، ٦٩٦) .

الحــور

والحور جمع حوراء ، أي شدَّة بياض بياض العين ، مع شدَّة سواد سوادها ، وهنَّ نساء الجنة ، لم ير الحور أحد من الإنس أو الجن ، وأول من يراها زوجها في الجنة ؛ قال تعالى : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾ (الواقعة:٢٢-٢٣) ، العِيْن مفردها العيناء ، وهي واسعة العيْن ، والعرب تحب العيْن على هذه الهيئة ، ولكل حورية وصيفات كثيرات .

فائدة : نساء البشر في الجنة أجمل من الحور العين ، فالآخرة متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة .

والولدان : أي الغلمان ، وهم خدم أهل الجنة صورتهم كصورة أطفال الدنيا ؛ قال تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ (الواقعة:١٧) .

الأولياء

الأولياء : جمع ولي ، وهو القائم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد حسب الإمكان ، ولهم كرامات خارقة للعادة ، والولاية بالاكتساب والجد في الطاعة والبعد عن المعصية ، ولا يلزم لحصول الولاية أن تقع لهم الكرامات والخوارق ، والأولياء غير معصومين بل محفوظون بحفظ الله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ (يونس:٦٢-٦٣) ، وجاء في الحديث القدسي : « مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ» [صحيح البخاري] .

ولاية الله للعبد : أن يهديه للإيمان والطاعة ، وأن يعينه على العبادة ، فيزداد قربًا منه فيحبّه الله ويتولّى أمره ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ وَلِيِّـىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (الأعراف:١٩٦) .

ولاية العبد لله : أن يؤمن به ، ويتقيه ، ويتقرب إليه بالفرائض والنوافل، ويوالي مَنْ يوالي ، ويعادي من يعادي ، ويحب ما يحب ، ويكره ما يكره؛ فالله يوالي عبده إكرامًا منه ، والعبد يوالي ربه احتياجًا إليه .

فائدة : الكرامة جائزة عقلاً ، واقعة فعلاً .

فائدة : كل ما جاز أن يكون معجزةً لنبي جاز أن يكون كرامةً لولي .

من أمثلة الكرامة :

- حاصر خالد بن الوليد ﷺ حصنًا قويًا ، فقالوا له : «لا نسلم لك حتى تشرب السم» فشربه خالد فلم يضرّه .

- وأيضًا منها أن أخبر أبو بكر الصديق ﷺ السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ قبل موته أن زوجته حامل بأنثى ، وقد كان .

- وأيضًا منها أن عمر ﷺ قد أمرَّ سارية على جيش من جيوش المسلمين وجهَّزه إلى بلاد فارس ، فاشتدَّ على عسكره الحال على باب نهاوند وهو يحاصرها ، وكثرت جموع الأعداء وكاد المسلمون ينهزمون ، وعمر ﷺ بالمدينة فصعد المنبر وخطب ثم استغاث في أثناء خطبته بأعلى صوته : «يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم»، فأسمع الله ﷻ سارية وجيوشه أجمعين وهم على باب نهاوند صوت عمر ﷺ فلجأوا إلى الجبل ، وقالوا : هذا صوت أمير المؤمنين فنجوا وانتصروا» .

- وروى إمام الحرمين ـ رحمه الله ـ في كتاب الشامل : «إن الأرض زلزلت في زمن عمر ﷺ فحمد الله وأثنى عليه والأرض ترجف وترتج ثم ضربها بالدرَّة وقال : أقرِّي ألم أعدل عليك؟ فاستقرت من وقتها .

٥٧- وكُلُّ مَا جَـاءَ مِـنَ البَشِـيرِ مِنْ كُلِّ حُكْـمٍ صَـارَ كالضَّـرُورِي

أي يجب الإيمان ، وهو التصديق القلبي بكل ما جاء به الرسول ﷺ من الأمور الغيبية التي دلَّت عليها النصوص القرآنية والنبوية حتى صارت لا تخفى على أحد ، كالإيمان بيوم القيامة ، والنفخ في الصور ، والشفاعة ، والموقف ، والكتب السماوية ، والعرش ، والكرسي ، واللوح ، والقلم ، وسؤال القبر ، وعذاب القبر ونعيمه ، وغير ذلك مما سبق بيانه ، وإليك نبذة عن كل ما سبق :

سؤال القبر :

ثبت بالأدلة أنه إذا مات شخص ووضع في قبره تعاد إليه روحه حتى يستطيع الإجابة عما يسأل عنه ، ثم يأتيه ملكان وهما : «منكر ونكير» يسألان الميت عن ربه ودينه ورسوله ، فإذا أجاب صار القبر روضة من رياض الجنة ، وإن لم يجب صار حفرة من حفر النار ؛ قال رسول الله ﷺ : «إذا قُبِرَ الميتُ ، أو قال : أحدُكم أتاه ملكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما: المنكر ، وللآخر : النكير ، فيقولان : ما كنتَ تقولُ في هذا الرجل ؟ فيقول ما كان يقول : هو عبد الله ورسولُه ، أشهد أنْ لا إله إلا الله ، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله ، فيقولان : قد كُنَّا نعلم أنَّكَ تقول هذا ، ثم يُفْسحُ له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ، ثم يُنَوَّرُ له فيه ، ثم يقال له : نَمْ فيقول : أرجع إلى أهلي فأخبرهم ، فيقولان : نَمْ كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحبُّ أهله إليه ، حتى يبعثَه الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقًا قال : سمعتُ الناسَ يقولون قولاً ، فقلت مثله ، لا أدري ، فيقولان : قد كُنَّا نعلم أنَّكَ تقول ذلك ، فيقال للأرض : التَئمي عليه ، فتلتئم عليه ،

فتختلف أضلاعه ، فلا يزال فيها معذَّبًا حتى يبعثَه الله من مضجعه ذلك»
[أخرجه الترمذي] .

عذاب القبر ونعيمه :

يجب على المكلَّف أن يعتقد أنَّ في القبر نعيمًا للطائع ، وعذابًا للعاصي ؛ قال تعالى : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ (غافر:٤٦) قال القرطبي ـ رحمه الله ـ : الجمهور على أن هذا العرض في البرزخ (القبر) .

وكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ» . [صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، والنسائي] ، وقال رسول الله ﷺ : «إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، أو حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ» [رواه الترمذي] . والنعيم والعذاب عند جمهور للروح والجسد .

* * *

يوم القيامة وعلاماته

يوم القيامة : هو آخر يوم من أيام الدنيا طويل وصعب علىالكافرين ؛ يسيرٌ بإذن الله تعالى على المؤمنين ، ينتهي بدخول أهل الجنة الجنة ، ودخول أهل النار النار .

من أسمائه : «الآزفة . يوم التغابن . يوم التلاق . الصاخّة . الواقعة . الطامّة الكبرى . القارعة . يوم الغاشية . الحاقة . يوم الحساب . يوم الدين . يوم الفصل . يوم الوعيد . اليوم المشهود . يوم الخلود . اليوم العظيم . يوم التناد . يوم الجمع . يوم الحسرة . يوم الخروج . الساعة . يوم الفتح . يوم الخافضة . يوم الرَّاجفة . يوم الرَّادفة . يوم الرَّافعة . يوم المعاد . اليوم الآخر. يوم البعث . يوم تُبلى السرائر . يوم الحق . يوم عسير . يوم عظيم . يوم عقيم . يوم كبير . يوم محيط . يوم مشهود . يوم معلوم . يوم موعود . يوم الجزاء . يوم النَّدامة . يوم الشهادة . يوم النشور . يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم» .

وكثرة الأسماء تدلُّ على عِظَم قدر هذا اليوم وشرفه .

علامات يوم القيامة :

قال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ (النازعات:٤٢-٤٦).

أ- **من العلامات الصغرى** : وهي البعيدة عن اليوم الآخر ، وتحدث

خلال فترات طويلة من الزمان ، ومنها : «بعثة الرسول ﷺ فهو آخر الرسل، ودينه آخر الأديان ، وكتابه آخر الكتب ، وأمته آخر الأمم» ، ومنها : «انشقاق القمر» ، و«التطاول في البنيان» ، و«كثرة القتل» ، و«سوء الخلق» ، و«الموت فجأة» ، وغير ذلك من العلامات ؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» . وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطِى. [صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، ومسند أحمد] .

ب ـ **العلامات الكبرى** : وهي القريبة من النفخ في الصور ، وتحدث في فترة وجيزة آخر الزمان ، إذا ظهرت إحداها تتابعت كلها ؛ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ أَشْرَفَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غُرْفَةٍ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ السَّاعَةَ فَقَالَ : «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْنَ عَشْرَ آيَاتٍ : طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدُّخَانُ ، وَالدَّابَّةُ ، وَخُرُوجُ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ ، وَخُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَالدَّجَّالُ ، وَثَلاثُ خُسُوفٍ : خَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ تَسُوقُ أَوْ تَحْشُرُ النَّاسَ ، تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا ، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا» [مسند أحمد] .

تنبيه : قد ذكروا أن من علامات الساعة الكبرى أيضًا ظهور الإمام المهدي ، وأن اسمه «محمد بن عبد الله» أو «أحمد بن عبد الله» ، وأنه من بيت النبوة ، وأنه يملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلمًا ، وأنه يقيم شريعة الإسلام ، ويحيي ما اندثر من سنة النبي ﷺ ، وأن الإسلام تعلو كلمته في عهده ، ويُمكَّن له في الأرض ، ويكثر الرخاء ويعم الأمان ، وأنه يمكث سبع سنين ، فيخرج الدجال ، ثم ينزل عيسى عليه السلام فيتعاون عيسى

عليه السلام مع المهدي على قتل الدجال ، ثم يموت المهدي ويبقى عيسى عليه السلام من بعده إلى الوقت الذي يشاؤه الله تعالى له[1] .

الموقف وأهواله

الموقف : ويجب الإيمان به ، وهو عبارة عن المكان الذي يقف فيه العباد يوم القيامة ؛ لفصل القضاء وإجراء الحساب ، وهول الموقف شديد ؛ إذ فيه يخوض الناس في عرقهم كلٌ على قدر عمله ؛ قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ۝ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (الواقعة:٤٩-٥٠).

هول الموقف :

ينال الناس فيه من الشدائد والمصائب كطول الوقوف ، وتطاير الكتب ، ولا ينال شيء من الشدائد والمحن الأنبياء ولا الأولياء ولا سائر الصلحاء ، وما ورد من خوفهم يوم القيامة ، فهو خوف إجلال وإعظام .

فائدة :

١- يشدَّد على الكفار حتى يكون خمسين ألف سنة .

٢- يتوسَّط على فسقة المؤمنين .

٣- يخفَّف على الصالحين حتى يكون كصلاة ركعتين .

فائدة : قال الإمام الباجوري ـ رحمه الله ـ : ومن أسباب تخفيفه والإعانة عليه :

أ- قضاء حوائج المسلمين .

---

(١) العقيدة والأخلاق ، ص ١٩٢ .

ب ـ تفريج الكرب عنهم .

ت ـ إشباع الجائع .

ث ـ إيواء ابن السبيل .

النفخ في الصور : وَرَدَ شرعًا إن إسرافيل عليه السلام ملك موكل بالنفخ في الصور نفختين ؛ الأولى يموت أهل الأرض والسماوات ، وبعد مُضي زمن لا يعلم مقداره إلى الله تعالى ، ينفخ الملك النفخة الثانية فيبعث الله الموتى من قبورهم ويحشرهم إلى الموقف ؛ قال تعالى : ﴿ **وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ** ﴾ (الزمر:٦٨) .

الكتب السماوية : وهي الكتب المنزَّلة من عند الله تعالى على الرُّسل والأنبياء ، كصحف شيث وإبراهيم وموسى ـ عليه السلام ـ ، والإيمان واجب بكل الكتب إجمالاً ، أما تفصيلاً فيجب الإيمان بالتوراة المنزَّلة على سيِّدنا موسى عليه السلام ، والزَّبور المنزَّل على سيِّدنا داود عليه السلام ، والإنجيل المنزَّل على سيدنا عيسى عليه السلام ، والقرآن المنزَّل على سيدنا محمد ﷺ .

الشفاعة : لغةً : الوسيلة والطلب . وشرعًا : سؤال الله الخَير للناس في الآخرة .

وقد أجمع الأشاعرة على صحة الشفاعة من رسول الله ﷺ لأهل الكبائر من أمته .

يقول الإمام الجويني ـ رحمه الله ـ : «اتَّفق أهل الحق على إثبات الشفاعة ، وهذا يستدعي تقديم قول في جواز غفران الذنوب فنقول :

من استقرَّ في عَقْدِهِ أن الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يفعل ما يشاء ، وتقرر لديه بما قدمناه أنه لا يجب على رب الأرباب ثواب ولا عقاب لم ينكر جواز غفرانه وعفوه.

وإن نزلنا على مقدار عقول المخالفين ، في تشبيههم أحكام أفعال الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بأفعال المخلوقين فقد تقرر عند العقلاء قاطبة أن العفو والصفح والتجاوز عن المجرمين من مكارم الأخلاق ومعالي الأمور .

وقد أطبقت طبقات الخلق على تفنن آرائهم ، واختلاف أهوائهم على تحسين التجاوز والعفو عند القدرة ، ثم إذا عَظُمَ قدر بعض الخدم عند الملك لم يقبح منه تشفيعُه في جمع من المذنبين .

فإذا تقرر الجواز في ذلك فالأخبار الواردة في الشفاعة مدونة في الصحاح بالغة مبلغ الاستفاضة»[1] .

وقد اختصَّ الله تعالى حبيبه سيدنا محمَّدًا ﷺ بالشفاعة العظمى .

أنواع الشفاعة[2] :

١- الشفاعة العظمة في فصل القضاء بين أهل الموقف حين يفزعون إليه بعد الأنبياء : عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُهِمُّوا بِذَلِكَ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ : أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ لِتَشْفَعْ لَنَا

(١) العقائد النظامية ، (ص ٢٥٢) .

(٢) القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع (ص ١٩٤) .

عِنْدَ رَبِّكِ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا ، قَالَ : فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، قَالَ : وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ أَكْلَهُ مِنْ الشَّجَرَةِ وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَكِنْ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ : إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ ثَلاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللهُ التَّوْرَاةَ وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا ، قَالَ : فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ : إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ قَتْلَهُ النَّفْسَ وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ ، قَالَ : فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدًا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي ، فَيَقُولُ : ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ : يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَ ، قَالَ : فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ، قَالَ قَتَادَةُ : وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ : فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنْ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الثَّانِيَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي ، ثُمَّ يَقُولُ : ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَ ، قَالَ : فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ، قَالَ : ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ

فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ، قَالَ قَتَادَةُ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنْ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي ، ثُمَّ يَقُولُ : ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَهْ ، قَالَ : فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ، قَالَ : ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ، قَالَ قَتَادَةُ : وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ : فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنْ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ ، قَالَ : ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ **عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾ (الإسراء:٧٩) . قَالَ : وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وُعِدَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ . [صحيح البخاري] .

٢- **الشفاعة في إدخال فريق الجنة بغير حساب :** قال ﷺ : « يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ » ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ ، ادْعُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، قَالَ : « اللهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ » ، ثُمَّ قَامَ آخَرُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، ادْعُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ : « سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ » . [صحيح مسلم] .

٣- الشَّفاعة في زيادة الدَّرجات : وهذه الشَّفاعات السَّابقة خاصَّة بسيِّدنا محمد ﷺ .

٤- الشَّفاعة في مرتكب الكبيرة المستحق دخول النار قبل أن يدخلها : قال ﷺ : « شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي » [مسند أحمد] .

٥- الشفاعة في إخراج أهل الكبائر من النار : قال ﷺ : « شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي » [مسند أحمد] .

٦- الشفاعة لمن مات بالمدينة المنورة (البقيع) : قال ﷺ : « مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَمُوتَ بَالْمَدِينَةِ ، فَلْيَمُتْ بَالْمَدِينَةَ ، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ مَاتَ بِهَا » [صحيح ابن حبان] .

٧- الشفاعة لمن زار قبره ﷺ ، قال ﷺ : « مَنْ زَارَ قَبْرِي ، أَوْ قَالَ مَنْ زَارَنِي كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا وَمَنْ مَاتَ في أَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بَعَثَهُ اللهُ في الآمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامِةِ » [سنن البيهقي الكبرى] .

٨- الشفاعة لفتح باب الجنة : قال ﷺ : « آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ مِنْ أَنْتَ ؟ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ ، فَيَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ لا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ » [صحيح مسلم] .

٩- الشفاعة لمن أجاب المؤذن : قال ﷺ : « إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لِيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ في الْجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إلا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ تَعَالَى وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ » [صحيح مسلم] .

١٠- الشفاعة لقوم من الكفار لهم سابقة خدمة عنده ﷺ

نوع خدمة في حقه فإنه يخفف عذابهم بشفاعته ﷺ ، قال عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ : إِنَّ زَيْنَبَ ابْنَةَ أَبِي سَلَمَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ أَخْبَرَتْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : « يَا رَسُولَ اللهِ انْكِحْ أُخْتِي بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ فَقَالَ : « أَوَ تُحِبِّينَ ذَلِكَ ». فَقُلْتُ : نَعَمْ ، لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ ، وَأَحَبُّ مَنْ

شَارَكَنِي فِي خَيْرٍ أُخْتِي ، فقَالَ النبي ﷺ : « إِنَّ ذَلِكَ لا يَحِلُّ لِي » . قُلْتُ : فَإِنَّا نُحَدَّثُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَنْكِحَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ . قَالَ : « بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ » . قُلْتُ : نَعَمْ . فقَالَ : « لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي فِي حَجْرِي مَا حَلَّتْ لِي إِنَّهَا لابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ ، أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ فَلا تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلا أَخَوَاتِكُنَّ » . قَالَ عُرْوَةُ : وَثُوَيْبَةُ مَوْلاةٌ لأَبِي لَهَبٍ كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا فَأَرْضَعَتِ النبي ﷺ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حِيبَةٍ ، قَالَ لَهُ : مَاذَا لَقِيتَ ؟ قَالَ أَبُو لَهَبٍ : لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بِعَتَاقَتِي ثُوَيْبَةَ [صحيح البخاري] .

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : « ذكر السهيلي أنَّ العباس قال : لما مات أبو لهب رأيته في منامي بعد حول ، في شرِّ حال ، فقال : ما لقيت بعدكم راحة ، إلا أنَّ العذاب يخفَّف عني كلَّ يوم اثنين ، قال : وذلك أنَّ النبيَّ ولد يوم الاثنين ، وكانت ثويبة بشَّرت (أبا لهب) بمولده فأعتقها »[1] .

العرش والكرسي واللوح والقلم : يجب الإيمان بكل ما سبق مع تفويض حقيقته إلى الله تعالى ؛ قال تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ (الحاقة:١٧) ، قال تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ (البقرة:٢٥٥) ، قال تعالى : ﴿ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ (البروج:٢٢) ، قال تعالى : ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (القلم:١) .

قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ : إن الله خلق العرش إظهاراً لقدرته ، لا مكانًا لذاته .

(١) فتح الباري . ابن حجر (١٤٥/٩) ، ط. دار المعرفة . بيروت .

٥٨- وَيَنْطَوِي فِي كِلْمَـــةِ الإِسْـــلامِ مَا قَدْ مَضَى مِـــنْ سَـــائِرِ الأَحْكَـــامِ

أي يدخل تحت كلمة الإسلام وهي «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» ﷺ جميع ما سبق ذكره من أحكام الإلهيات والنبوات والسمعيات ؛ فقد تضمَّنت كلمة الإسلام جميع العقائد الإيمانية ، وكلمة الإسلام لها مذاق .

ومعناها : لا معبود بحق إلا الله ، مع التصديق برسالة سيدنا محمد ﷺ وبكلِّ ما جاء به عن ربه تعالى .

فائدة: سمِّيت كلمة الإسلام بذلك لدلالتها على معنى واحد وهو الإسلام.

- تتمة : تعريف الإسلام :

(لغة) الإذعان والانقياد .

(وشرعًا) الامتثال الظاهر لما جاء به الرسول ﷺ .

ويتحقَّق بالنطق بالشهادتين ، فمن نطق بها تجري عليه الأحكام ، ولابد من لفظ «أشهد» وبالترتيب فيقول : (أشهد أن لا إله الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله) ومن أسلم سرًا ولم ينطق بالشهادتين فأمره لله تعالى ، فلنا الظاهر والله يتولَّى السرائر .

أركان الإسلام خمسة :

١- النطق بالشهادتين . ٢- إقام الصلاة . ٣- إيتاء الزكاة.

٤- صوم رمضان . ٥- حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً .

تعريف الإيمان :

(لغةً) مطلق التصديق .

(شرعًا) التصديق القلبي بكل ما جاء به الرسول ﷺ ، والعمل كشرط كمال .

أركان الإسلام ستة :

١- الإيمان بالله .
٢- الإيمان بالملائكة .
٣- الإيمان بالكتب السماوية .
٤- الإيمان بالرسل .
٥- الإيمان بالقضاء والقدر .
٦- الإيمان باليوم الآخر .

الإيمان يزيد وينقص :

يزيد الإيمان بالطاعة ، وينقص بالمعصية .

درجات الإيمان :

١- إيمان يزيد ولا ينقص ، وهو إيمان الرسل والأنبياء .

٢- إيمان لا يزيد ولا ينقص ، وهو إيمان الملائكة .

٣- إيمان يزيد وينقص ، وهو إيمان الجن والإنس .

والطاعة : فعل الأوامر واجتناب النواهي .

قال الإمام علي ابن أبي زيد القيرواني : «وأن الإيمان قول باللسان ، وإخلاص بالقلب ، وعمل بالجوارح ، يزيد بزيادة الأعمال ، وينقص بنقص الأعمال ، فيكون فيها النقصان وبها الزيادة ، ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل»[(١)] .

---

(١) شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني ، للإمام عبد الوهاب البغدادي ، (ص ٣٤٢)، ط. دار البحوث للدراسات الإسلامية . دولة الإمارات العربية المتحدة .

مراتب الإيمان :

١- إيمان المنافقين بألسنتهم دون قلوبهم .

٢- إيمان عامة المؤمنين بقلوبهم وألسنتهم .

٣- إيمان المقربين وهم الذين انطبع الإيمان في بواطنهم .

٤- إيمان أهل الفناء في التوحيد المستغرقين في المشاهدة .

ثمرة الإيمان :

أن يكون الله ورسوله أحب إلى الإنسان من كل شيء ، وأن يظهر ذلك في أقواله وأفعاله وتصرفاته .

الفرق بين الإسلام والإيمان :

الإسلام هو الامتثالات الظاهرية .

والإيمان هو التصديقات الباطنة .

وبينهما تلازم فكل مسلم مؤمن ، وكل مؤمن مسلم .

وهنا قول يقول : إنهما مترادفان بدليل قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (الذاريات:٣٥-٣٦).

فائدة : قال الإمام البغوي : جعل النبي ﷺ الإسلام اسمًا لما ظهر من الأعمال ، وجعل الإيمان اسمًا لما ظهر من الاعتقاد[١] .

٥٩- فأَكْثِرَنْ مِن ذِكْرِهَـا بـالأَدبِ تَرقَى بِهَذَا الـذِّكْرِ أَعْلَـى الرُّتَـبِ

فعليك أيها المكلف أن تكثر من تلاوتها مع الالتزام بالأدب ، فأنت

(١) شرح مسلم للنووي ، (ج١ ، ص ١٤٥) .

تتلفظ بكلمة الشهادة ، وهي أفضل الذكر ، وهي التي توصل العبد إلى أعلى الدرجات ؛ قال رسول الله ﷺ : « أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي : لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ » [رواه البيهقي] ، فأصلح قلبك وجميع حواسك مع حفظها عن الذنوب والمعاصي .

فائدة : تعريف علم التصوف والسلوك :

قيل له ألف تعريفها منها : أنه علم بأصول يعرف به صلاح القلب ، وسائر الحواس .

ويقال : هو الجِد في السلوك إلى ملك الملوك .

ويقال : هو حفظ الحواس ، ومراعاة الأنفاس .

أو هو حياة القلوب .

وأخَّر المصنف ـ رحمه الله ـ هذا العلم لأنه لا يمكن السير إلى الله تعالى إلا بعد معرفة العقائد فينشأ عن حياة القلوب الصفاء والنقاء .

فائدة : أصول طريقة التزكية خمسة :

- تقوى الله في السر والعلانية .
- واتباع السُّنة في الأقوال والأفعال .
- والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار .
- والرِّضا عن الله تعالى في القليل والكثير .
- والرُّجوع إلى الله تعالى في السَّراء والضَّراء [١].

---

(١) المقاصد النووية .

فتحقيق التقوى بالورع والاستقامة .

وتحقيق اتِّباع السنة بالتحفظ وحسن الخلق .

وتحقيق الإعراض عن الخلق بالصبر والتوكل على الله تعالى .

وتحقيق الرضا عن الله تعالى بالقناعة والتفويض .

وتحقيق الرجوع إلى الله تعالى بالشكر له في السراء والالتجاء إليه في الضراء .

٦٠- وغَلِّبِ الخَوْفَ عَلَى الرَّجَاءِ وسِرْ لِمَوْلاكَ بِلا تَنَاءِ

اجعل معظم أوقاتك في الذكر ، واجعل جانب الخوف من الله تعالى مع جانب الرجاء ، فحياة المسلم بين الخوف والرجاء ، قال تعالى : ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ** ﴾ (الزمر:٩) ، والخوف هو الهم والقلق لما سوف يأتي ؛ عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ : وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ فَأَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَسَأَلْتُه فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُه لَهُمْ خَيْرًا مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَوْ كَانَ لَكَ جَبَلُ أُحُدٍ أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَأَنَّكَ إِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ » [مسند أحمد] ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي » [صحيح البخاري ، ومسلم] .

والمسلم إذا لم يذكر رحمة ربه لأصيب بالإحباط واليأس من رحمة ربه ، فأدَّى ذلك إلى الاكتئاب والمرض ، وإذا لم يذكر الخوف من الله تعالى

لأدَّى ذلك إلى التهاون في فعل المعصية ، فلابد من التوازن بين الرجاء والخوف وهو شعار المؤمن .

٦١- وجَـــدِّدِ التَّوْبَـــةَ لِـــلأوْزَارِ لا تَيْأَسَـــنْ مِـــنْ رَحَمَـــةِ الغَفَّـــارِ

على المكلَّف أن يكثر من التوبة وهي الأسف والندم على فعل المعاصي، وعلى المكلف أن يجعل رحمة الله تعالى تشمله ، حتى لا يصاب باليأس ، فقد وصف ربنا ـ ﷻ ـ نفسه بأنه غفار ، وأنه صاحب رحمة ؛ قال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف:١٥٦) ، والإنسان شيء والرحمة تشمله ؛ قال تعالى : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الحجر:٤٩) .

تعريف التوبة : لغةً : مطلق الرجوع ، وشرعًا : ما استجمع أركانًا ثلاثة : الإقلاع ، والندم ، والعزم على عدم العود للذنب .

حكمها : واجبة على الفور إذا حدث الذنب ، وتأخير التوبة ذنب آخر .

ولابدَّ أن تقع قبل أن يصل الإنسان إلى درجة الغرغرة ، وهي حالة نزع الروح ، فلا تقبل آنذاك ، وكذلك لا توبة إذا طلعت الشمس من المغرب ؛ ساعتها يغلق باب التوبة .

أركان التوبة :

١- الندم على المعاصي . ٢- الإقلاع عن المعاصي .
٣- العزم على عدم العودة للمعاصي . ٤- رد الحقوق لأصحابها.

ولا يجب على الله تعالى قبول التوبة فلا يجب على الله تعالى شيء ، بل قبوله لها تفضلٌ ورحمة ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ (الشورى:٢٥) .

هذا إذا استوفت التوبة جميع الشروط .

وقال ﷺ : « التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ ». [سنن ابن ماجه] .

فائدة : قال سهل التستري ـ رحمه الله ـ « أصولنا سبعة أشياء » :

١- التمسك بكتاب الله تعالى . ٢- الاقتداء بسنة رسوله ﷺ .

٣- أكل الحلال . ٤- كف الأذى .

٥- اجتناب الآثام . ٦- التوبة .

٧- أداء الحقوق[1] .

مسألة : هل تصح التوبة عن ذنب مثل السرقة مع إصراره على ذنب آخر مثل الكذب ؟

(الجواب) تصح فيكون حكم الذنب المصر على ارتكابه ثابتًا ، وحكم الذنب الذي تاب عنه زائلاً ، وهذا من رحمة الله تعالى بخلقه .

تنبيه : إذا كانت المعصية متعلِّقة بحقوق العباد فلابدَّ من ردِّ المظالم إلى أهلها أو مسامحتهم فيها ، وقد سأل النبي ﷺ أصحابه يومًا فقال : « تَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ» . قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ . قَالَ : « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُقْضَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» [مسند أحمد] .

٦٢- وكُنْ عَلَـى آلائِـهِ شَـكُورَا وَكُـنْ عَلَـى بَلائِـهِ صَـبُورَا

(١) حقائق التصوف للشيخ عبد القادر عيسى ، (٤٧٣) .

اشكر مولاك على نعمه الكثيرة التي حباك بها ؛ قال تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (إبراهيم:٧) ، وإذا ابتلاك الله فقد اختبرك فعليك بالصبر، وهو : حبس النفس على ما اصابها مما لا يلائمها رضًا بتقدير المالك المختار ﷻ من غير انزعاج ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر:١٠) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» [صحيح مسلم] ، فالمسلم شاكر لربه على نعمته ، صابر في موضع القضاء ، راضٍ بحكم ربه فيه ، فليس في الإمكان أحسن مما كان .

فائدة : من كلام أبي الصديق ؓ : «غنيٌّ شاكر خير من فقير صابر ، ولأن أعافي فأشكر خير من أن ابتلى فأصبر» .

٦٣- وكُلُّ شَيءٍ بالقَضَـاءِ والقَـدَرْ ... وكُـلُّ مَقْـدُورٍ فَمَـا عَنْـهُ مَفَـرْ

اعلمْ أيها المكلف أن كل أمر يأتيك فهو قضاء ، أي إرادة الله المتعلقة أزلاً بتخصيص الكائنات ببعض ما يجوز عليها ، والقدر هو إيجاد الله تعالى الأمور على طبق إرادته ، ثم اعلم أن كل قضاء وقدر من الله تعالى ولا هروب منه ولا مفر .

فائدة : قَالَ الإمام علي ؓ : «وَالَّذِي خَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ : مَا عَلَوْتُمْ تَلَّةً ، ولا هَبَطْتُمْ وَادِيًا إلاَّ بِقَضَاءٍ مِنَ اللهِ وَقَدَرِهِ» .

وسأل شيخ الإسلام عليًا ؓ : مَا الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ؟ قَالَ الإمام علي ؓ : «الْعِلْمُ السَّابِقُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ، وَالرَّقِّ الْمَنْثُورِ بِكُلِّ مَا كَانَ ، وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ ، وبِتَوْفِيقِ اللهِ وَمَعُونَتِهِ لِمَنِ اجْتَبَاهُ بِوِلاَيَتِهِ وَطَاعَتِهِ ، وَبِخُذْلاَنِ اللهِ

وَتَخلِّيَتِهِ لِمَنْ أَرَادَ لَهُ وَأَحَبَّ شَقَاهُ بِمَعْصِيَتِهِ وَمُخَالَفَتِهِ ؛ قال تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (الحديد:٢٢-٢٣) .

كان عمر بنُ عبد العزيز ﷺ يقول : « أصبحتُ وما لي سرور إلا في مواضع القضاء والقدر »؛ قال تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ (الأحزاب:٣٨) ، وعَنْ ذِي اللِّحْيَةِ الْكِلابِيِّ قَالَ : قُلْتُ : « يَا رَسُولَ اللهِ أَنَعْمَلُ فِي أَمْرٍ مُسْتَأْنَفٍ أَوْ فِي أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ ؟ قَالَ : بَلْ فِي أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ ، قَالَ : فَفِيمَ الْعَمَلُ ؟ فَقَالَ : اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ » [مسند أحمد] .

٦٤- فَكُنْ لَهُ مُسَلِّمًا كَـيْ تَسْـلَمَا   واتْبَـعْ سَـبِيلَ النَّاسِـكِينَ العُلَمَـا

فليس لك أيها المكلف إلا تسليم أمرك وشأنك لمولاك ﷻ ، الذي خلقك فسواك فعدلك حتى تستريح ، والزم صحبة شيخ عالم بالدين زاهد في الدنيا ، موصول بصلة العبادة والذكر حتى تقتبس من أنوار النبوة فتكون من الناسكين العابدين لله تعالى على علم وبصيرة ، والعلماء ورثة الأنبياء وهم الذين يبلِّغون الشَّرع عن رسول الله ﷺ ، وعلى يديهم تأتي التربية وهي السلوك القويم .

فائدة : كان الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ يقول لولده عبد الله : يا ولدي عليك بالحديث ، وإيَّاك ومجالسة هؤلاء الذين سمّوا أنفسهم صوفية ، فإنه ربما كان أحدهم جاهلاً بأحكام دينه ، فلمَّا صحب أبا حمزة البغدادي ، وعرف أحوال القوم ، ووقف على حقيقتهم ، كان يقول ـ رحمه الله ـ لولده عبد الله : عليك بمجالسة هؤلاء القوم ، فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة لله تعالى ، والخشية منه ، والزهد في الدنيا ، وعلوِّ الهمة .

٦٥- وخَلِّصِ القَلْبَ مِـنَ الأغْيَـارِ بالجِـدِّ والقِيَـامِ بالأسْـحَارِ

الطريق إلى الله تعالى :

نقِّ القلب من كل ما هو سوى الله ، فغير الله لن تجد ربًّا ولا نافعًا ولا هاديًا ، فاشتغل بذكر الله عمن سواه ، وعليك بالجد وهو الاجتهاد في الطاعة لتنال المراد ، وقم الليل وصلِّ ، فصلاة الليل خالية من الرِّياء والنفاق خاصَّة ما إذا كانت العبادة في ساعة السَّحر ، وهي السدس الأخير من الليل.

فائدة : قيام الليل يضيء وجه المصلي ، ويثبِّت إيمانه ، ويثبت حفظ القرآن، وبدايته بعد صلاة العشاء ، وكان رسول الله ﷺ يكثر من قيام الليل ؛ قال تعالى : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ (الذاريات:١٧-١٨) .

فائدة : قمة التوحيد حيث يفرد القلب للتفكير في قدرة مولاه ، والتأمل في كونه ، وينشغل بذكره ؛ قال تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ (الرعد:٢٨) .

فائدة : حكي عن بعض الصالحين أنه قال : نزل عندي أضياف كرام فقلت لهم : أوصوني بوصيةٍ بالغة . قالوا نوصيك بستة أشياء :

أولها : من كثر نومه ، فلا يطمع في رقّة قلبه .

ثانيها : من كثر أكله ، فلا يطمع في قيام الليل .

ثالثها : ومن اختار صحبة ظالم ، فلا يطمع في استقامة دينه .

رابعها : ومن كان الكذب عادته ، فلا يطمع أن يخرج من الدنيا مع الإيمان .

خامسها : من كثر اختلاطه بالناس ، فلا يطمع في حلاوة العبادة .

سادسها : من طلب رضاء الناس ، فلا يطمع في رضاء الله تعالى .

٦٦- والفِكْرِ والذِّكْرِ عَلَى الدَّوَامِ مُجتَنِبًا لِسائِرِ الآثَامِ

الفكر وهو حركة النفس في المعقولات وهو يوصلك إلى الوقوف أمام عظمة الله تعالى ، فالتأمل في المخلوقات ذكر ، فمن داوم عليه حقرت نفسه ؛ لأنه نظر في قدرة القادر وعظمة الخالق ، ثم ابتعد عن جميع المعاصي والذنوب فهي الحائل بينك وبين مولاك فلا تصر على صغيرة ولا ترتكب كبيرة ، واجعل يومك أوله استغفار ووسطه استغفار وآخره استغفار، فأسعد الناس صحيفة يوم القيامة من يكثر من الاستغفار ؛ قال رسول الله ﷺ : « طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا» [سنن ابن ماجه] . وأفضل الذكر قوله : « لا إله إلا الله» ، قال رسول الله ﷺ : « أَفْضَلَ مَا قُلْتَ أَنَا والنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي : لا إِلَه إِلاَّ الله » [رواه البخاري] .

أصول الطريق إلى الله تعالى عشرة :

١- التوبة (من المعاصي) ، **فالصغائر** هي المناهي التي ليس فيها حد ، والكبائر هي المعاصي التي فيها حدٌّ ، كحد السرقة .

٢- الشكر (على النعمة) .

٣- الصبر (على البلاء) .

٤- الرضا بالقضاء والقدر .

٥- اتباع المرشد الكامل (الشيخ المربي) الذي سلك الطريق إلى الله تعالى واقتدى بهدي رسوله ﷺ .

٦- الجوع (البعد عن الحرام في المأكل والمشرب والشهوات) .

٧- العزلة (عن كل ما يبعدنا عن الله) .

٨- الصمت (ترك الفحش من الكلام والتكلم بالخير) ، فالمؤمن صمته فكرٌ وتأمُّلٌ في كون الله تعالى .

٩- القيام بالأسحار (للصلاة والذكر بالليل) ، والسَّحَرْ هو السدس الآخر من الليل «قبل الفجر بنصف ساعة تقريبًا .

١٠- التفكر في مخلوقات الله ، ودوام الذكر ، فالكون كتاب الله تعالى الفسيح الدال على عظمته وقدرته وعجائب صنعته ، وهو التفكير الذي يؤدِّي إلى قوَّة الإيمان وترسيخ العقيدة .

٦٧- مُراقِبًا لله في الأحْوالِ لِتَرْتَقِي مَعَالِمَ الكَمَالِ

المراقبة : هي ملاحظة الحق تعالى عند كل شيء ، فلا تفعل فعلاً أو تقول قولاً إلا وترى الله تعالى يراقبك ويطلع على أمرك ، وهذا كافٍ في زجر كل عبد عن المعصية ، فإذا وصلت إلى هذه الدرجة من المراقبة فقد تخلَّقت بالأخلاق المحمدية ، ووصلت إلى درجة الكمال الخلقي ، قال رسول الله ﷺ : «الإِحْسَانَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» [صحيح مسلم] . إذن المراقبة تؤدي إلى مقام المشاهدة وهو أن ترى الله تعالى أينما كنت ، فهو معك يرعاك ويراقبك وأن تشعر بقدرته في كل شيء ، فتهاب مولاك وتبتعد عن كل رذيلة خشية أن تُرى في مقام خبيث استحياءً من الله تعالى ، وهذه هي ثمرة المراقبة والمشاهدة ، والسعيد من رزق الاستقامة ، وهي أعظم كرامة .

فائدة : قال إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله ـ : «لمن أراد الترخص في ارتكاب المعصية ، لا تعص الله وأنت تسكن أرض الله ، ولا تعص الله وأنت تأكل من رزق الله ، لا تعص الله في مكان يراك الله فيه ، وإذا جاء ملك الموت ليقبض روحك فقل له : أمهلني حتى أتوب ، وإذا جاءت زبانية جهنم ليأخذوك إليها فلا تذهب معهم» ، وما هذا إلا حكمة وعلم من إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله ـ فقد ذكر السائل بنعم الله ، وإحكام مراقبته للعباد ، فيأسه من ارتكاب المعاصي ، وأرشده إلى التوبة .

٦٨- وقُــل بِــذُلٍّ رَبِّ لا تَقْطَعْــنِي عَنْــكَ بِقَــاطِعٍ وَلا تَحْرِمْنِــي

عليك أيها المكلَّف أن تتذلل لمولاك ، فلا يتصور الحقد والبغضاء والكبر والرياء ممن راقب الله في أفعاله ، وتخلَّق بالأخلاق المحمدية ، وتأسَّى بالسُّنة النبوية المشرفة ، بل إنه يسأل ربه تعالى أن يقطعه عن الأغيار وهي كل ما سوى الله تعالى ، وألا يقطعه عن ذكر ربه والتفكر في خلقه ، فالمحروم من حرم الطاعة .

فائدة : أشد العذاب هو السلب بعد العطاء ، فمن ذاق طعم الطاعة يحترق لفقدها .

فائدة : المسلم الحق يعيش مع الناس بجسده وقلبُه مع ربه ، بحيث يعامل الناس كما أمره ربه أن يعاملهم ، وعلامة العبد الرباني : « أنك إذا رأيته تذكرت الله » .

٦٩- مِنْ سِرِّكَ الأَبْهَى المُزِيلِ لِلعَمَى واخْتِمْ بِخَـيرٍ يـا رَحِـيمَ الرُّحَمَـا

لا تحرم إلهنا عبدك الذليل من سرِّك الأبهى الأنور ؛ فإن الطاعة والذكر والمراقبة تؤدِّي إلى المشاهدة للحقائق من غير مخالطة وتزوير وتزييف ، فالعابد لله تعالى عالم تقي منَّور مرفوع عنه العمى وهو الجهل ، فعمى القلب أشد من عمى العين ، ونور القلب أشد من نور العين ، واسأل ربك أيها المكلَّف أن يختم أعمالك وأعمارك بخير فسبحانه وصف نفسه بأنه رحيم الرُّحما ، قال ﷺ : « الرَّاحِمُونَ يرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ » [السنن الكبرى للبيهقي] .

٧٠- والحَمْــدُ للهِ عَلَــى الإِتْمَــامِ وأَفْضَــلُ الصَّــلاةِ والسَّــلامِ

ختم المصنف ـ رحمه الله ـ هذا النظم البديع المبارك الذي كُتِبَ له القبول عند كلِّ قارئ بالحمد والشكر لله تعالى على تمام هذا العمل ،

ولكمال البركة والقبول خُتِم بالصلاة والسلام على خير مأمول وهو رسول الله ﷺ ، فمن أسباب البركة في العمل بدايته بالصلاة على رسول الله ﷺ ، وختامه بالصلاة عليه ﷺ .

٧١- عَلَى النَّبِيِّ الهَاشِـمِيِّ الخَـاتِمِ وآلِـهِ وَصَـحْبِهِ الأَكَـارِمِ

أي الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ ، الهاشمي النسب ، الخاتم لكل الأنبياء والرسل ، فلا نبيَّ بعده ﷺ ، وكل من ادَّعى بعده ﷺ الرسالة أو النبوة فهو دجال كاذب كافر ؛ لصريح النصوص بأنَّه ﷺ خاتم النبيين ، ومن يقل بغير ذلك فقد كَذَّب القرآن الكريم ، والقرآن منزَّه عن كلِّ نقص ؛ قال تعالى : ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا** ﴾ (الأحزاب: ٤٠) .

وآله : بنو هاشم وبنو المطلب ، وهنا في مقام الدعاء كل مسلم تقي .

وصحبه : أصحابه ﷺ مَن آمنوا به وصدَّقوه واجتمعوا به وماتوا مسلمين.

الأكارم : الذين جادوا بكل غالٍ ونفيس من أجل نصرة الدين وحمايته ونشره .

والصلاة على الآل والأصحاب بالتبعية للصلاة على خير البرية ﷺ .

فائدة : نظم المصنف ـ رحمه الله ـ هذه المنظومة في ليلة واحدة في حجرته التي كان يعيش فيها ، ومات ودفن فيها ، ثم إنَّه رحمه الله كتب منها في هذه الليلة نسخًا كثيرة ، فعم الخير بقراءتها ، وصارت تدرَّس في المساجد والمدارس والمعاهد الأزهرية ، واتَّصلت أسانيد العلماء إلى مؤلِّفها ـ رحمه الله ـ والله تعالى أعلم .

* * *

ملحق ببعض مصطلحات علم العقيدة

- افتقار : احتياج .
- الاتصال : هو المماسّة ، بحيث لا يكون هناك شيء فاصل بينهما .
- الإرهاص : أمر خارق للعادة يظهر على يد نبي قبل بعثته تمهيداً لنبوته .
- الأزلي : عدم الأولية ، أي : ما لا يكون مسبوقًا بالعدم ، والقديم والأزلي مترادفان .
- الاستدراج : أمر خارق للعادة يظهرعلى يد فاسق مدَّعٍ للألوهية موافق لمطلوبه .
- الإسعاد : خلق قدرة الطاعة .
- الإسلام : لغةً : مطلق الامتثال والانقياد .

وشرعًا : الامتثال والانقياد لما جاء به الرسول ﷺ مما علم من الدين بالضرورة .

- الإشقاء : لغة : الشِّدَّة والعسر .
- واصطلاحًا : خلق الكفر في العبد .
- الأصلح : الأنفع والأوفق في الحكمة والتدبير .
- الأغيار : غير الله تعالى ، كل ما سوى الله تعالى .
- الإكراه : حمل الغير على قول أو فعل لا يريده عن طريق التخويف أو التعذيب أو ما يشبه ذلك .
- الإلهيات : هي الأمور المتعلِّقة بذاته تعالى من حيث ما يجب وما يستحيل وما يجوز في حقه تعالى .

- الإمكان : استواء الوجود والعدم .

- الانفصال : هو كون الشيء بجانب الشيء ، بحيث يكون بينهما شيء ثالث .

- الإهانة : أمر خارق للعادة يظهر على يد كاذب مدَّع للنبوة على خلاف مطلوبه .

- الأوَّليَّات : ما يجزم العقل بها بمجرد تصوره طرفيها .

- الإيجاد : تعلُّق القدرة بوجود المقدور .

- الإيمان : لغةً : التصديق .

واصطلاحًا : التصديق القلبي بكل ما جاء به الرسول ﷺ .

- التأويل : في الأصل الترجيع وفي الشرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقًا للكتاب والسُّنة مثل قوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرًا ، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر ، أو العالم من الجاهل كان تأويلاً .

- التحلية : احتياج الخلق إليه .

- التخيل : حركة النفس في المحسوسات .

- التخلية : هي استغناؤه عن كل ما سواه ، إذ خلَّيناه من الاحتياج .

- التسلسل : هو ترتب أمور غير متناهية وأقسامه أربعة لأنَّه لا يخفي إما أن يكون في الآحاد المجتمعة في الوجود أو لم يكن فيها كالتسلسل في الحوادث والأول إما أن يكون فيها ترتيب أو لا والثاني كالتسلسل في النفوس الناطقة والأول إما أن يكون ذلك الترتيب طبيعيًا كالتسلسل في

العلل والمعلولات والصفات والموصوفات أو وضعيًّا كالتسلسل في الأجسام والمستحيل عند الحكم الأخير دون الأولين .

- التشبيه : في اللغة : الدلالة على مشاركة أمر بآخر في معنى فالأمر الأول هو المشبَّه والثاني هو المشبَّه به وذلك المعنى هو وجه التشبيه ولابد فيه من آلة التشبيه وغرضه .

وفي اصطلاح علماء البيان : هو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه كالشجاعة في الأسد .

- التعليق : ارتباط الصفة الوجودية بأمر زائد على القيام بمحلها .

- التعلُّق التنجيزي القديم : وهو التعلُّق بذات الله تعالى وصفاته .

- التعلُّق التنجيزي الحادث : هو المعبِّر عنه بالخلق والرزق والإحياء والإماتة .

- التفويض : ترك حقيقة الشيء إلى الله تعالى .

- التقليد : هو عبارة عن اتِّباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً للحقيقة فيه من غير نظر وتأمُّل في الدليل ، كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه وعبارة عن قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل.

- التكليف : إلزام ما فيه كلفة ؛ إذ لكل صفة حقيقة تخالف حقيقة الأخرى .

- التنزيه : عدم تشبيه الله تعالى بخلقه .

- التوفيق : هو خلق قدرة في العبد على الطاعة .

- الجسم : هو المتحيِّز بالذات ، الممتد في الجهات .

- الجهل : اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه ، وهو ضد العلم ؛ أو هو عدم العلم بالشيء فيما شأنه أن يعلم .

- الجوهر : هو القائم بنفسه .

- الجوهر الفرد : هو ما لا يقبل القسمة أصلاً ؛ أي هو الذي لا يتجزأ .

- الحادث : ما يكون مسبوقًا بالعدم ، وقد يعبر عن الحدوث بالحاجة إلى الغير .

- الحركة : الخروج من القوة إلى الفعل على سبيل التدريج قيد بالتدريج ليخرج الكون عن الحركة ، وقيل هي شغل حيز بعد أن كان في حيز آخر.

- الحكم العقلي : هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه عن طريق العقل .

- الحلول ينقسم قسمين :

١- حلولٌ في الأمكنة ، وهو كون الشيء على الشيء ، أي أن الشيء يشغل حيِّزًا كما تكون الكأس على الطاولة محتلَّةً لحيز معين .

٢- أو حلول السريان وهو دخول شيء في شيء معين كما يدخل الماء في العود .

- الخذلان : خلق قدرة في العبد على المعصية ، أو ميول العبد إلى المعصية (عدم التوفيق) .

- الدليل : في اللغة : هو المرشد وما به الإرشاد .

واصطلاحًا : ما يتوصَّل بصحيح النظر فيه إلى المطلوب .

- الدليل السَّمعي : هو الذي يستند إلى الخبر الصادق « قرآن ، أو سنة ، أو إجماع» .

- الدور : هو توقُّف الشَّيء على ما يتوقف عليه ويسمى الدور المصرح كما يتوقف (أ) على (ب) وبالعكس أو بمراتب ويسمى الدور المضمر كما يتوقف (أ) على (ب) و(ب) على (ج) و(ج) على (أ) والفرق بين الدور

وبين تعريف الشيء بنفسه هو أنه في الدور يلزم تقدمه عليها بمرتبتين إن كان صريحًا وفي تعريف الشيء بنفسه يلزم تقدمه على نفسه بمرتبة واحدة.

- الدين : لغةً : الطاعة .

اصطلاحًا : هو ما شرعه الله تعالى على لسان نبيه من الأحكام .

- الذهول : عدم العلم بالشيء مع تَقدم العلم به .

- الرسول : إنسان ذكر حر من بني آدم سليم عن مُنَفِّر طبعًا ، أُوحِي إليه بشرع يعمل به وأُمر بتبليغه .

- السرمدي : ما لا بداية له ولا نهاية له .

- السر : بالكسر لطيفة مودعة في القلب كالروح في البدن وهو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة والقلب محل المعرفة .

- السَّفه : لغة : خفة الحِلم .

واصطلاحًا : خفة تعرض للإنسان من الفرح والغضب فتحمله على العمل بخلاف طور العقل وموجب الشرع .

- السكون : هو عدم الحركة عما من شأنه أن يتحرك ، فعدم الحركة عما ليس من شأنه الحركة لا يكون سكونًا فالموصوف بهذا لا يكون متحركًا ولا ساكنًا .

- السَّمعيات : هي ما قد ورد إلينا عن طريق السمع وليس عن طريق التفكر والعقل من أمور غيبية وردت إلينا في الكتاب والسُّنَّة لا يدركها العقل بذاته ، ولكن لا يكذبها إن عرضت عليه وهذه مثل : الجنة ، والنار ، والملائكة ، والجن .

- الشَّك : هو إدراك كل من الطرفين على حد سواء .

- الصحابي : لغةً : هو من طالت عشرتك به .

وشرعًا : هو من اجتمع بنبينا ﷺ مؤمنًا به بعد البعثة في محل التعارف بأن يكون على وجه الأرض وإن لم يره أو لم يرو عنه شيئًا أو لم يميِّز ، على الصحيح .

- الصفات السَّلبية : هي ما نفاه الله سبحانه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ، وأثبت ضدها لنفسه فنفى الحدوث وأثبت القدم .

- الصِّفات المعنوية : هي صفات تثبت لموصوفها تبعًا لثبوت صفة أخرى لذلك الموصوف وهي سبع : كونه قادرًا تبعًا للقدرة ، وكونه مريدًا تبعًا للإرادة ، وكونه عالِمًا تبعًا للعلم ، وكونه حيًّا تبعًا للحياة ، وكونه سميعًا تبعًا للسَّمع ، وكونه بصيرًا تبعًا للبصر ، وكونه متكلِّمًا تبعًا للكلام ، فالصِّفات المعنوية تابعة لصفات المعاني السَّبعة .

- الصفة النفسية : هي التي لا تُعقل الذات بدونها ، لا يمكن تصوّر الماهية بدون أن ينسب إليها صفة الوجود ، لذلك سمِّي الوجود صفةً نفسية؛ لأنَّ الوجود نفس الذات .

- الصلاح : ضد الفساد .

- الطاعة : هي فعل الأوامر واجتناب النواهي .

- الظن : إدراك الطرف الراجح .

- العالِم : العالِمُ بما كان وما يكون قبل كَوْنِهِ ، وبما يكون ولما يكون بعدُ قبل أن يكون ، لم يزل عالِمًا ولا يزال عالِمًا بما كان وما يكون .

- العالَم : كل ما سوى الله .

- العبث : لغةً : عمل ما لا فائدة فيه ، واصطلاحًا : فعل أمر غير معلوم الفائدة .

- العَرَض : ما لا يقوم بنفسه .

- العصمة : حماية الأنبياء ظاهرًا وباطنًا عن ارتكاب المعاصي .

- الغفلة : عدم العلم بالشيء مطلقًا .

- الفكر : ترتيب أمور معلومة تؤدِّي إلى مجهول ، وقيل : حركة النفس في المعقولات .

- القديم : يطلق على الموجود الذي ليس وجوده مسبوقًا بالعدم . وقيل: هو الذي لا أوَّل له .

- الكرامة : هو أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم بمتابعة نبي كلِّف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح .

- الكليات الخمسة : النوع ، الجنس ، الفصل ، العَرَض العام ، العَرَض الخاص أو (الخاصَّة) .

- العالم العلوي : ما ارتفع من الفلكيات من السماوات والشمس والقمر والكواكب وغير ذلك .

- العالم السّفلي : ما نزل من الفلكيات من الهواء والسحاب ، والأرض وما فيها من الجبال والبحار والأنهار والنبات والمعادن والدواب وغير ذلك.

- الماهية : الحقيقة .

- المبادئ العشرة للعلوم : معناها أن فنًّا ما من الفنون قد أصبح مستقلاً، وتخصصًا قائمًا بذاته ، له دارسوه الذين يدرسونه من البداية إلى النهاية ؛ من أجل فائدة معينة ، بوضع معين ، وترتيب معين ، لموضوع معين وهكذا .

- المتواترات : هي ما يحكم العقل بها بواسطة إخبار قوم يمتنع تواطؤهم على الكذب عن محسوس ، وقيل : هي قضايا يحكم العقل بها

بواسطة السماع من جمع كثير يستحيل العقل توافقهم على الكذب مثل : مكة المكرمة موجودة .

- المجربات : ما يحكم العقل بها بواسطة الحس مع التكرار .
- المحل : الذات التي تقوم بها الصفة .
- المسلَّمات : قضايا تُقبل في الوقت بناء على أنه قد قام عليها برهان في موضع أخر .
- المشاهدَات : ما يحكم العقل بها بواسطة الحس .
- المشهورات : قضايا اتفق عليها الجمع الغفير من الناس .
- المعجزة : هي أمر خارق للعادة يظهر على يد النَّبي أو الرَّسول إظهارًا لصدق دعوته ، وإعجازًا للمنكرين من قومه .
- المعرفة : الجزم المطابق للواقع عن دليل .
- المعصية : فعل المحرمات والنواهي .
- المعونة : أمر خارق للعادة يظهر على يد بعض العوام .
- المقبولات : قضايا تؤخذ ممن حَسُن الظن به ، ولم يقم الدليل على عصمته من الخطأ .
- الملازمة : لغة : امتناع انفكاك الشيء عن الشيء .

واصطلاحًا : كون الحكم مقتضيًا للآخر ، بحيث أن الحكم لو وقع يقتضي وقوع حكم آخر اقتضاءً ضروريًا كالدخان للنار في النهار ، والنار للدخان في الليل .

- النبوَّات : هي الأمور المتعلقة بذات الرُّسل والأنبياء من حيث ما يجب وما يستحيل وما يجوز في حقِّهم .
- النَّبي : لغةً : مأخوذ من النَّبأ وهو الخَبَر .

وشرعًا : إنسان ذكر حر من بني آدم سليم عن مُنَفِّر طبعًا ، أُوحِي إليه بشرع يعمل به وإن لم يُؤْمَر بتبليغه .

- النظر : إدراك الشيء بحاسَّة النظر .

- الهيولى : جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتِّصال والانفصال .

- الوهم : هو إدراك الطرف المرجوح .

- اليقين : الاعتقاد الجازم عن دليل لا شك فيه ولا وهم ولا ظن .

- أولو العزم : أكثر الأنبياء مشقَّةً في تبليغ الرِّسالة ، وهم : «نوح، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمَّد» عليهم الصلاة والسلام .

- مفتقر : أي يحتاج إلى غيره .

- موجد : خالق .

- تنجيزي حادث : وهو انكشاف الممكنات بعد وجودها .

- تنجيزي قديم : وهو انكشاف الذات العلية وصفاتها انكشافًا يغاير انكشاف العلم .

- توقيفي : أمر يلزم الوقوف عنده .

- صفات المعاني : هي ما دلَّ على معنى وجودي قائم بالذات .

- صلوحي قديم : وهو صلاحيتهما في الأزل لاكتشاف ذوات الكائنات وصفاتها بهما فيما لا يزال .

* * *

تمَّ بحمد الله تعالى كتاب «**التوضيحات الجليَّة على متن الخريدة البهيَّة**» يوم الأحد الواحد والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وأربعمائة وألف من هجرة المصطفى ﷺ الموافق للثالث من مارس سنة ثلاث عشرة وألفين .

والله أسأل أن يرزقه القبول ويغفر الزلل ، وأن يجعل له نصيبًا من القراءة في المساجد والمدارس والبيوت ، وأن يكون سببًا في نجاتي وأهلي ومشايخي من النار والفوز بجنة الخلد ... آمين .

والحمد لله رب العالمين

«اللهم صلِّ على سيِّدنا محمَّد عبدك ورسولك النَّبيِّ الأمِّيِّ ، وعلى آل سيِّدنا محمَّد وأزواجه وذريته ، كما صلَّيت على سيِّدنا إبراهيم وعلى آل سيِّدنا إبراهيم ، وبارك على سيِّدنا محمَّد النَّبيِّ الأمِّيِّ ، وعلى آل سيدنا محمَّد وأزواجه وذريته ، كما باركت على سيِّدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين ، إنَّك حميدٌ مجيد» .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

من كتب المؤلف

١- المختصر في سيرة سيد البشر .

٢- المنح الإلهية في الآداب الإسلامية .

٣- خلاصة الأنباء في قصص الأنبياء .

٤- هداية الأنام في أحكام الزكاة والصيام .

٥- الموجز المفيد في علم التوحيد .

٦- سبيل النجاة في أحكام الطهارة والصلاة .

٧- إسعاد البرية في أحكام الأضحية .

٨- الأنوار المحمدية شرح الأربعين النووية .

٩- الإشراقات السنية بشرح الشمائل المحمدية .

١٠- الإمتاع بشرح متن أبى شجاع .

١١- آل البيت المسمى بدر التمام فى آل البيت الكرام .

١٢- تبصرة العقلاء بقصص الأنبياء .

١٣- فتح العلام شرح منظومة العوام .

١٤- التوضيحات الجلية شرح الخريدة البهية .

١٥- العُجَالَةُ الرَّجَبِيَّةُ شرح مَتْنِ الرَّحَبِيَّةِ .

١٦- النفحات المدنية شرح منظومة البيقونية ـ تحت الطبع .